٤/١٩١ / **قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله وقدس سره :**

فصـــل

الأقوال نوعان:

أقوال ثابتة عن الأنبياء، فهي معصومة ، يجب أن يكون معناها حقًا، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، و البحث عنها إنما هو عما أرادته الأنبياء ، فمن كان مقصوده معرفة مرادهم من الوجه الذي يعرف مرادهم فقد سلك طريق الهدى، ومن قصد أن يجعل ما قالوه تبعًا له، فإن وافقه قبله وإلا رده، وتكلف له من التحريف ما يسميه تأويلاً، مع أنه يعلم بالضرورة أن كثيرًا من ذلك أو أكثره لم ترده الأنبياء، فهو محرف للكلم عن مواضعه، لا طالبٌ لمعرفة التأويل الذي يعرفه الراسخون في العلم.

النوع الثاني : ما ليس منقولاً عن الأنبياء، فمن سواهم ليس معصومًا، فلا يقبل كلامه ولا يرد إلا بعد تصور مراده،و معرفة صلاحه من فساده، / فمن قال من أهل الكلام: إنه ٤/١٩٢
لا يفعل الأشياء بالأسباب ، بل يفعل عندها لا بها، ولا يفعل لحكمة ، ولا في الأفعال المأمور بها ما لأجله كانت حسنة، ولا المنهي عنها ما لأجله كانت سيئة ،فهذا مخالف لنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة من السلف.

وأول من قاله في الإسلام جهم بن صفوان الذي أجمع الأمة على ضلالته، فإنه أول من أنكر الأسباب والطبائع ، كما أنه أول من ظهر عنه القول بنفي الصفات، وأول من قال بخلق كلام الله وإنكار رؤيته في الآخرة.

ونصوص الكتاب والسنة في إبطال هذا كثيرة جدًا كقوله: ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ** ﴾[الأنبياء:٦٩] ، فسلب النار طبيعتها، وقوله: ﴿**لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا**﴾ [النبأ:١٥]،وقوله: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً** ﴾[الأعراف:٥٧]، فأخبر أن الرياح تقل السحاب، أي تحمله، فجعل هذا الجماد فاعلاً بطبعه،وقال: ﴿**اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ**﴾ [الحج:٥]، فجعلها فاعلة بطبعها، وقوله: ﴿ **فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ** ﴾[لقمان:١٠] وهو الكثير المنفعة، والزوج: الصنف.

والأدلة في ذلك كثيرة، يخبر فيها أنه يخلق بالأسباب والحكم، وأخبر أنه قائم بالقسط، وأنه لا يظلم الناس شيئًا، فلا يضع شيئًا في غير موضعه، ولا يسوي بين

مختلفين، ولا يفرق بين متماثلين ، كما قال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾الآية [الجاثية: ٢١]، وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ﴾الآية [ص: ٢٨]، وقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ / كَالْمُجْرِمِينَ﴾الآية [القلم: ٣٥]، وقال: ٤/١٩٣
﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ . وَلا الظُّلُمَاتُ﴾الآية [فاطر: ١٩، ٢٠] وغيرها كثير.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾الآية [الأعراف: ١٥٧] ، فدلت هذه الآية وغيرها على أن ما أمرهم به هو معروف في نفسه تعرفه القلوب، فهو مناسب لها مصلح لفسادها، وليس معنى كونه معروفًا أنه مأمور به؛ إذ هذا قدر مشترك ، فعلم أن ما يأمر به الرسول مختص، وما نهى عنه مختص بأنه منكر محذور، وما يحله مختص بأنه طيب، وما يحرمه مختص بأنه خبيث، ومثل هذا كثير في القرآن وغيره من الكتب، كالتوراة والإنجيل، والزبور، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

obeikandl.com

٤/١٩٤ / قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى:

الاستدلال بكون الشيء بدعة على كراهيته قاعدة عظيمة عامة، وتمامها بالجواب عما يعارضها.

فإن من الناس من يقول: البدع تنقسم إلى قسمين ؛ لقول عمر: نعمت البدعة، وبأشياء أحدثت بعده ﷺ، وليست مكروهة ؛ للأدلة من الإجماع والقياس.

وربما ضم إلى ذلك من لم يحكم أصول العلم ما عليه كثير من الناس من العادة، بمنزلة من إذا قيل لهم: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[المائدة: ١٠٤].

وما أكثر من يحتج به من المنتسبين إلى علم أو عبادة، بحجج ليست من أصول العلم، وقد يبدي ذوو العلم له مستندًا من الأدلة الشرعية، والله يعلم أن قوله لها وعمله بها ليس مستندًا إلى ذلك؛ وإنما يذكرها دفعًا لمن يناظره.

٤/١٩٥ والمجادلة المحمودة إنما هي إبداء المدارك التي هي مستند الأقوال والأعمال، / وأما إظهار غير ذلك فنوع من النفاق في العلم والعمل ، وهذه قاعدة دلت عليها السنة والإجماع مع الكتاب، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١].

فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله ،أو أوجبه بقوله أو فعله، من غير أن يشرعه الله، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في ذلك، فقد اتخذ شريكًا لله شرع في الدين ما لم يأذن به الله، وقد يغفر له لأجل تأويل إذا كان مجتهدًا، الاجتهاد الذي يعفى معه عن المخطئ ، لكن لا يجوز اتباعه في ذلك كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[التوبة: ٣١].

فمن أطاع أحدًا في دين لم يأذن الله به ـ من تحليل، أو تحريم ، أو استحباب ، أو إيجاب ـ فقد لحقه من هذا الذم نصيب، كما يلحق الآمر الناهي. ثم قد يكون كل منهما معفوًا عنه. فيتخلف الذم لفوات شرطه، أو وجود مانعه، وإن كان المقتضى له قائمًا، ويلحق الذم من تبين له الحق، فتركه أو قصر في طلبه فلم يتبين له، أو أعرض عن طلبه، لهوى أو كسل ونحو ذلك.

وأيضًا، فإن الله عاب على المشركين شيئين:

أحدهما: أنهم أشركوا به ما لم ينزل به سلطانًا.

الثاني: تحريمهم ما لم يحرمه الله، كما بينه ﷺ في حديث / عياض عن مسلم(١)، وقال: ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام:١٤٨] فجمعوا بين الشرك والتحريم، والشرك يدخل فيه كل عبادة لم يأذن الله بها، فإن المشركين يزعمون أن عبادتهم إما واجبة، وإما مستحبة. ثم منهم من عبد غير الله ؛ ليتقرب به إلى الله، ومنهم من ابتدع دينا عبد به الله، كما أحدثت النصارى من العبادات. ٤/١٩٦

وأصل الضلال في أهل الأرض إنما نشأ من هذين، إما اتخاذ دين لم يشرعه الله، أو تحريم ما لم يحرمه.

ولهذا كان الأصل الذي بنى عليه أحمد وغيره مذاهبهم، أن الأعمال عبادات وعادات، فالأصل في العبادات لا يشرع منها إلا ما شرعه الله، والأصل في العادات لا يحظر منها إلا ما حظره الله، وهذه المواسم المحدثة إنما نهي عنها لما أحدث فيها من الدين الذي يتقرب به.

---

(١) مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٦٥/ ٦٣).

obeikandl.com

٤/١٩٧ / سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ قدس الله روحه ـ عن رجل قال:

إذا كان المسلمون مقلدين ، والنصارى مقلدين، واليهود مقلدين، فكيف وجه الرد على النصاري واليهود ، وإبطال مذهبهم والحالة هذه؟ وما الدليل القاطع على تحقيق حق المسلمين، وإبطال باطل الكافرين؟

فأجاب ـ رضي الله عنه :

الحمد لله ، هذا القائل كاذب ضال في هذا القول، وذلك أن التقليد المذموم هو قبول قول الغير بغير حجة، كالذين ذكر الله عنهم أنهم: ﴿**إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾، قال تعالى: ﴿ **أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٠] وقال: ﴿ **إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ** ﴾[الصافات: ٦٩، ٧٠] ، ونظائر هذا في القرآن كثير.

٤/١٩٨ فمن اتبع دين آبائه وأسلافه لأجل العادة التي تعودها، وترك اتباع الحق / الذي يجب اتباعه، فهذا هو المقلد المذموم ، وهذه حال اليهود والنصارى، بل أهل البدع والأهواء في هذه الأمة، الذين اتبعوا شيوخهم ورؤساءهم في غير الحق، كما قال تعالى :﴿ **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا . وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ . رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا**﴾[الأحزاب: ٦٦ـ ٦٨]، وقال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً . يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً** ﴾إلى قوله: ﴿ **خَذُولاً** ﴾ [الفرقان: ٢٧ـ ٢٩].

وقال تعالى : ﴿ **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ** ﴾ إلى قوله: ﴿**وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴾[البقرة: ١٦٦، ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ**﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨] وأمثال ذلك مما فيه بيان أن من أطاع مخلوقًا في معصية الله، كان له نصيب من هذا الذم والعقاب.

والمطيع للمخلوق في معصية الله ورسوله، إما أن يتبع الظن، وإما أن يتبع ما يهواه، وكثير يتبعهما.

وهذه حال كل من عصى رسول الله من المشركين وأهل الكتاب ، من اليهود والنصارى ، ومن أهل البدع والفجور من هذه الأمة، كما قال تعالى :/ ﴿إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم:٢٣]، والسلطان : هو الكتاب المنزل من عند الله وهو الهدى الذي جاءهم من عند الله، كما قال تعالى :﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم:٣٥]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿بِبَالِغِيهِ﴾(١) [غافر:٥٦]. ٤/١٩٩

وقال لبني آدم :﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ إلى قوله : ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه:١٢٣ـ١٢٧].

وبيان ذلك: أن الشخص إما أن يبين له أن ما بعث الله به رسوله حق، ويعدل عن ذلك إلى اتباع هواه، أو يحسب أن ما هو عليه من ترك ذلك هو الحق ، فهذا متبع للظن، والأول متبع لهواه. . .(٢) اجتماع الأمرين: قال تعالى في صفة الأولين:﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[الأنعام:٣٣]، وقال تعالى :﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[النمل:١٤]، وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦].

وقال تعالى في صفة الأخسرين: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾/ الآية [الكهف: ١٠٣] وقال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر:٨]. ٤/٢٠٠

فالأول : حال المغضوب عليهم، الذين يعرفون الحق ولا يتبعونه، كما هو موجود في اليهود.

والثاني : حال الذين يعملون بغير علم، قال تعالى :﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام:١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].

وكل من يخالف الرسل هو مقلد متبع لمن لا يجوز له اتباعه، وكذلك من اتبع الرسول

---

(١) في المطبوعة : «بالغيه» والصواب ما أثبتناه.

(٢) بياض بالأصل.

بغير بصيرة ولا تبين، وهو الذي يسلم بظاهره من غير أن يدخل الإيمان إلى قلبه، كالذي يقال له في القبر: من ربك[1] ؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ . فيقول: هاه، هاه ، لا أدري . سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته ـ هو مقلد ـ فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق، أي : لمات.

وقد قال تعالى :﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾[الحجرات: ١٤] . فمن لم يدخل الإيمان في قلبه وكان مسلمًا في الظاهر، فهو من المقلدين المذمومين.

فإذا تبين أن المقلد مذموم ـ وهو من اتبع هوى من لا يجوز اتباعه ـ كالذي يترك
٤/٢٠١ طاعات رسل الله، ويتبع ساداته وكبراءه، أو يتبع الرسول ظاهرًا / من غير إيمان في قلبه،تبين أن اليهود والنصارى كلهم مقلدون تقليدًا مذمومًا، وكذلك المنافقون من هذه الأمة.

وأما أهل البدع، ففيهم بر وفجور ، وبيان ذلك من وجوه:

أحدها: أن اليهود والنصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون موسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم ، إنما يتبعونهم لأجل أنهم رسل الله، وما من طريق تثبت بها نبوة موسى وعيسى إلا ومحمد ﷺ أولى وأحرى.

مثال ذلك : إذا قال اليهود والنصارى: قد ثبت بالنقل المتواتر أن موسى وعيسى ـ مع دعواه النبوة ـ ظهرت على يديه الآيات الدالة على صدقه، وأنه جاء من الدين والشريعة ما يعلم أنه لم يجئ به مفتر كذاب ـ ظهرت على يديه الآيات الدالة على صدقه ـ وإنما يجيء به مع دعوى النبوة نبي صادق. قيل له: كل من هاتين الطريقتين دليل يثبت نبوة محمد ﷺ بطريق الأولى.

فإنه من المعلوم أن الذين نقلوا ما دعا إليه محمد ﷺ من الدين والشريعة، ونقلوا ما جاء به من الآيات المعجزات، أعظم من الذين نقلوا سثل ذلك عن موسى وعيسى، وما جاء به من هذين النوعين أعظم مما جاء به موسى وعيسى، بل من نظر بعقله في هذا الوقت إلى ما عند المسلمين من العلم النافع، والعمل الصالح وما عند اليهود والنصارى،
٤/٢٠٢ علم أن بينهما / من الفرق أعظم مما بين العَرَم [2] والعِرْق.

فإن الذى عند المسلمين، من توحيد الله ومعرفة أسمائه وصفاته، وملائكته وأنبيائه

---

(١) في المطبوعة :« ما ربك » والمثبت من مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) العَرَم : اللحم. يقال: إن جزوركم لطيب العَرَمَةَ ، أي : طيب اللحم . انظر: لسان العرب، مادة «عرم».

ورسله، ومعرفة اليوم الآخر، وصفة الجنة والنار، والثواب والعقاب، والوعد والوعيد، أعظم وأجل بكثير مما عند اليهود والنصارى، وهذا بين لكل من يبحث عن ذلك.

وما عند المسلمين من العبادات الظاهرة والباطنة مثل : الصلوات الخمس، وغيرها من الصلوات ، والأذكار والدعوات، أعظم وأجل مما عند أهل الكتاب، وما عندهم من الشريعة في المعاملات، والمناكحات والأحكام والحدود والعقوبات، أعظم وأجل مما عند أهل الكتاب.

فالمسلمون فوقهم في كل علم نافع، وعمل صالح، وهذا يظهر لكل أحد بأدنى نظر، لا يحتاج إلى كثير سعي.

والمسلمون متفقون على أن كل هدى وخير يحصل لهم، فإنما حصل بنبيهم ﷺ، فكيف يمكن مع هذا أن يكون موسى وعيسى نبيين، ومحمد ﷺ ليس بنبي، وأن اليهود والنصارى على الحق؟!

/ فما هم عليه من الهدى ودين الحق ، أعظم مما عند اليهود والنصارى، وذلك إنما ٤/٢٠٣
تلقوه من نبيهم.

وهذا القدر يعترف به كل عاقل ـ من اليهود والنصارى ـ يعترفون بأن دين المسلمين حق، وأن محمدًا رسول الله ﷺ ، وأن من أطاعه منهم دخل الجنة، بل يعترفون بأن دين الإسلام خير من دينهم، كما أطبقت على ذلك الفلاسفة، كما قال ابن سينا وغيره: أجمع فلاسفة العالم على أنه لا يقرع العالم ناموس أعظم من هذا الناموس، لكن من لم يتبعه يعلل نفسه بأنه لا يجب عليه اتباعه؛ لأنه رسول إلى العرب الأميين دون أهل الكتاب؛ لأنه إن كان دينه حقًا فديننا أيضًا حق، والطريق إلى الله ـ تعالى ـ متنوعة، ويشبهون ذلك بمذاهب الأئمة، فإنه وإن كان أحد المذاهب يرجح على الآخر، فأهل المذاهب الأخرى[1] ليسوا كفارًا ولا من أهل الكتاب.

هذه الشبهة التي يضل بها المتكايسون [2] من أهل الكتاب، والمتفلسفة ونحوهم، وبطلانها ظاهر، فإنه كما علم علمًا ضروريًا متواترًا أنه دعا المشركين إلى الإيمان، فقد علم بمثل ذلك أنه دعا أهل الكتاب إلى الإيمان به، وأنه جاهد أهل الكتاب كما جاهد المشركين، فجاهد بني قينقاع، وبني النضير، وقريظة، وأهل خيبر، وهؤلاء كلهم يهود، وسبى ذريتهم ونساءهم وغنم أموالهم ، وأنه غزا النصارى عام تبوك بنفسه وبسراياه، حتى

---

(١) في المطبوعة :«الآخر» وهو خطأ.

(٢) المتكايسون :المتظرفون، يقال: تَكَيَّسَ الرجل : إذا تَظَرَّف . انظر : لسان العرب ، مادة «كيس».

٤/٢٠٤ قتل في محاربتهم زيد بن محمد / مولاه الذي كان تبناه، وجعفر وغيرهما من أهله، وأنه ضرب الجزية على نصارى نجران.

وكذلك خلفاؤه الراشدون من بعده، جاهدوا أهل الكتاب، وقاتلوا من قاتلهم، وضربوا الجزية على من أعطاها منهم عن يد وهم صاغرون.

وهذا القرآن الذي يعرف كل أحد أنه الكتاب الذي جاء به، مملوء من دعوة أهل الكتاب إلى اتباعه، ويكفر من لم يتبعه منهم، ويذمه ويلعنه، والوعيد له، كما في تكفير من لم يتبعه من المشركين وذمه، والوعيد كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ** ﴾الآية [النساء: ٤٧]، وفي القرآن من قوله: يا أهل الكتاب، يا بني إسرائيل، ما لا يحصي إلا بكلفة.

وقال تعالى: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ**﴾ الآية إلى قوله: ﴿**خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾ [البينة: ١-٧]. ومثل هذا في القرآن كثير جدًا. وقد قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾[الأعراف: ١٥٨] وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ** ﴾[سبأ: ٢٨].

واستفاض عنه ﷺ: « فُضِّلْتُ على الأنبياء بخمس» ذكر فيها أنه قال: « كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»(١). بل تواتر عنه ﷺ أنه بعث إلى الجن والإنس، فإذا علم بالاضطرار بالنقل المتواتر ـ الذي تواتر كما تواتر ظهور دعوته ـ أنه دعا
٤/٢٠٥ أهل الكتاب إلى / الإيمان به، وأنه حكم بكفر من لم يؤمن به منهم، وأنه أمر بقتالهم حتى يسلموا، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وأنه قاتلهم بنفسه وسراياه وأنه ضرب الجزية عليهم، وقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، وغنم أموالهم، فحاصر بني قينقاع، ثم أجلاهم إلى أذْرِعَات (٢)، وحاصر بني النضير، ثم أجلاهم إلى خيبر، وفي ذلك أنزل الله سورة الحشر.

ثم حاصر بني قريظة لما نقضوا العهد، وقتل رجالهم، وسبى حريمهم، وأخذ أموالهم، وقد ذكره الله ـ تعالى ـ في سورة الأحزاب، وقاتل أهل خيبر حتي فتحها، وقتل من قتل من رجالهم، وسبى من سبى من حريمهم، وقسم أرضهم بين المؤمنين، وقد ذكرها الله ـ تعالى ـ في سورة الفتح، وضرب الجزية على النصارى، وفيهم أنزل الله سورة آل عمران، وغزا النصارى عام تبوك، وفيها أنزل الله سورة براءة.

---

(١) البخارى فى التيمم (٣٣٥) ، ومسلم فى المساجد (٥٢١ / ٣) .

(٢) أذْرِعَات: بلد في أطراف الشام. انظر: معجم البلدان ١/ ١٣٠.

وفي عامة السور المدنية ، مثل البقرة ، وآل عمران، والنساء، والمائدة ، وغير ذلك من السور المدنية، من دعوة أهل الكتاب، وخطابهم، ما لا تتسع هذه الفتوى لِعُشْرِهِ.

ثم خلفاؤه بعده أبو بكر وعمر ، ومن معهما من المهاجرين والأنصار ، الذي يعلم أنهم كانوا أتبع الناس له، وأطوعهم لأمره، وأحفظهم لعهده، وقد غزوا الروم كما غزوا فارس، وقاتلوا أهل الكتاب كما قاتلوا المجوس، فقاتلوا من قاتلهم ، وضربوا الجزية على من أداها منهم عن يد وهم صاغرون.

/ ومن الأحاديث الصحيحة عنه قوله ﷺ :« والذي نفسي بيده، لا يسمع بي من هذه ٤/٢٠٦
الأمة يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار»[1].

قال سعيد بن جبير: تصديق ذلك في كتاب الله تعالى :﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ**﴾[هود: ١٧]، ومعنى الحديث متواتر عنه، معلوم بالاضطرار، فإذا كان الأمر كذلك، لزم بأنه رسول الله إلى كل الطوائف، فإنه يقرر بأنه رسول الله إلى أهل الكتاب وغيرهم، فإن رسول الله لا يكذب، ولا يقاتل الناس على طاعته بغير أمر الله، ولا يستحل دماءهم، وأموالهم، وديارهم بغير إذن الله.

فمن قال : إن الله أمره بذلك وفعله، ولم يكن الله أمره بذلك، كان كاذبًا مفتريًا ظالمًا: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ** ﴾[الأنعام: ٩٣] وكان مع كونه ظالمًا مفتريًا، من أعظم المريدين علوا في الأرض وفسادًا، وكان أشر من الملوك الجبابرة الظالمين، فإن الملوك الجبابرة الذين يقاتلون الناس على طاعتهم، لا يقولون إنا رسل الله إليكم، ومن أطاعنا دخل الجنة، ومن عصانا دخل النار، بل فرعون وأمثاله لا يدخلون في مثل هذا ، ولا يدخل في هذا إلا نبي صادق، أو متنبئ كذاب، كمسيلمة والأسود وأمثالهما.

فإذا علم أنه نبي كيفما كان ، لزم أن يكون ما أخبر به عن الله حقًا، وإذا كان رسول الله وجبت طاعته في كل ما يأمر به، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [النساء: ٦٤] وإذا أخبر أنه رسول الله إلى أهل الكتاب، / وأنه تجب عليهم طاعته، ٤/٢٠٧
كان ذلك حقًا؛ ومن أقر بأنه رسول الله، وأنكر أن يكون مرسلاً إلى أهل الكتاب، بمنزلة من يقول: إن موسى كان رسولاً، ولم يكن يجب أن يدخل أرض الشام، ولا يخرج بني إسرائيل من مصر، وأن الله لم يأمره بذلك، وأن الله لم يأمره بالسبت، ولا أنزل عليه التوراة، ولا كلمه على الطور، ومن يقول: إن عيسى كان رسول الله ، لم يبعث إلى بني

(١) مسلم في الإيمان(١٥٣/ ٢٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إسرائيل ، ولا كان يجب على بني إسرائيل طاعته، وأنه ظلم اليهود ، وأمثال ذلك من المقالات، التي هي أكفر المقالات.

ولهذا قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ**﴾ الآية [النساء: ١٥٠ـ١٥٢]، وقال لبني إسرائيل : ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[البقرة: ٨٥].

فهذه الطريقة الواضحة البينة القاطعة، يبين بها لكل مسلم ويهودي ونصراني أن دين المسلمين هو الحق، دون اليهود والنصارى، فإنها مبنية على مقدمتين:

إحداهما : أن نبوة محمد ﷺ ، ورسالته ، وهدي أمته أبين وأوضح ، تعلم بكل طريق تعلم بها نبوة موسى وعيسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وزيادة ، فلا يمكن القول بأنهما نبيان دونه لأجل ذلك، وإن شاء الرجل استدل على ذلك بنفس الدعوة، وما جاء به ، وإن شاء بالكتاب الذي بعث به وإن شاء / بما عليه أمته، وإن شاء بما بعث به من ٤/٢٠٨
المعجزات، فكل طريق من هذه الطرق إذا تبين بها نبوة موسى وعيسى، كانت نبوة محمد ﷺ بها أبين وأكمل.

والمقدمة الثانية : أنه أخبر أن رسالته عامة إلى أهل الأرض، من المشركين وأهل الكتاب وأنه لم يكن مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض، وهذا أمر معلوم بالضرورة والنقل المتواتر، والدلائل القطعية.

وأما اليهود والنصارى ، فأصل دينهم حق، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[البقرة: ٦٢] لكن كل من الدينين مبدل منسوخ، فإن اليهود بدلوا وحرفوا ، ثم نسخ بقية شريعتهم بالمسيح ﷺ.

ونفس الكتب التي بأيدي اليهود والنصارى ـ مثل نبوة الأنبياء، وهي أكثر من عشرين نبوة وغيرها ـ تبين أنهم بدلوا وأن شريعتهم تنسخ، وتبين صحة رسالة محمد ﷺ، فإن فيها من الأعلام والدلائل على نبوة خاتم المرسلين، ما قد صنف فيه العلماء مصنفات، وفيها ـ أيضا ـ من التناقض والاختلاف مايبين ـ أيضًا ـ وقوع التبديل، وفيها من الأخبار من نحو بعدها ما يبين أنها منسوخة، فعندهم ما يدل على هذه المطالب ، وقد ناظرنا غير واحد / من أهل الكتاب وبينا لهم ذلك، وأسلم من علمائهم وخيارهم طوائف، وصاروا ٤/٢٠٩
يناظرون أهل دينهم، ويبينون ما عندهم من الدلائل على نبوة محمد ﷺ ، ولكن هذه الفتيا لا تحتمل غير ذلك.

وهذا من الحكمة في إبقاء أهل الكتاب بالجزية؛ إذ عندهم من الشواهد والدلائل على نبوة محمد ﷺ ، وعندهم من الشواهد على ما أخبر به من الإيمان بالله واليوم الآخر، ما يبين أن محمداً ﷺ جاء بالدين الذي بعثت به الرسل قبله، وأخبر من توحيد الله وصفاته بمثل ما أخبرت به الأنبياء قبله، قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ**﴾[الأحقاف: ١٠]،وقوله: ﴿ **قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[الرعد:٤٣]، وقال تعالى:﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ**﴾[يونس: ٩٤].

والنبي ﷺ لم يشك ولم يسأل ، ولكن هذا حكم معلق بشرط ، والمعلق بالشرط يعدم عند عدمه ، وفي ذلك سعة لمن شك ، أو أراد أن يحتج، أو يزداد يقينًا.

/ فصـــل ٤/٢١٠

فهذه الطريقة بينة في مناظرة أهل الكتاب، وأما إن كان المخاطب لا يقر بنبوة نبي من الأنبياء ؛ لا موسى، ولا عيسى، ولا غيرهما ،فللمخاطبة طرق :

منها: أن نسلك في الكلام بين أهل الملل وغيرهم ـ من المشركين والصابئين والمتفلسفة والبراهمة وغيرهم ـ نظير الكلام بين المسلمين وأهل الكتاب.

فنقول : من المعلوم لكل عاقل ـ له أدنى نظر وتأمل ـ أن أهل الملل أكمل في العلوم النافعة، والأعمال الصالحة ممن ليس من أهل الملل، فما من خير يوجد عند غير المسلمين من أهل الملل، إلا عند المسلمين ما هو أكمل منه، وعند أهل الملل ما لا يوجد عند غيرهم، وذلك أن العلوم والأعمال نوعان:

نوع يحصل بالعقل؛ كعلم الحساب والطب، وكالصناعة من الحياكة والخياطة والتجارة ونحو ذلك، فهذه الأمور عند أهل الملل كما هي عند غيرهم بل هم فيها أكمل، فإن علوم المتفلسفة ـ من علوم المنطق والطبيعة والهيئة، وغير ذلك ـ من متفلسفة الهند واليونان، وعلوم فارس والروم لما صارت إلى المسلمين هذبوها ونقحوها، لكمال عقولهم، وحسن ألسنتهم، وكان / كلامهم فيها أتم وأجمع وأبين، وهذا يعرفه كل عاقل وفاضل ، وأما ما ٤/٢١١
لا يعلم بمجرد العقل كالعلوم الإلهية، وعلوم الديانات ، فهذه مختصة بأهل الملل، وهذه منها ما يمكن أن يقام عليه أدلة عقلية ، فالآيات الكتابية مستنبطة من الرسالة. فالرسل هدوا الخلق وأرشدوهم إلى دلالة العقول عليها، فهي عقلية شرعية، فليس لمخالف

الرسول أن يقول: هذه لم تعلم إلا بخبرهم، فإثبات خبرهم بها دور، بل يقال: بعدالتهم وإرشادهم، وتبيينهم للمعقول ، صارت معلومة بالعقل والأمثال المضروبة، والأقيسة العقلية.

وبهذه العلوم يعلم صحة ما جاء به الرسول ﷺ ، وبطلان قول من خالفهم.

النوع الثاني: ما لا يعلم إلا بخبر الرسل ، فهذا يعلم بوجوه:

منها : اتفاق الرسل على الإخبار به من غير تواطؤ ولا اتفاق بينهم، فإن المخبر إما أن يكون صادقاً خبره مطابقاً لمخبره، وإما ألا يكون ، وإذا لم يكن خبره مطابقاً لمخبره، فإما أن يكون متعمداً للكذب ،وإما أن يكون مخطئاً، فإذا قدر عدم الخطأ والتعمد، كان خبره صدقاً لا محالة.

ومعلوم أنه إذا أخبر واحد عن علوم طويلة فيها تفاصيل كثيرة، لا يمكن في العادة خطؤهم، وأخبر غيره قبل ذلك مع الجزم بأنهما لم يتواطآ ، ولا يمكن أن يقال إنه يمكن
٤/٢١٢ الكذب في مثل ذلك، أفاد خبرهما العلم، وإن لم يعلم /حالهما، فلو ناجى رجلا بحضرة رجال وحدث بحديث طويل فيه أسرار تتعلق به في رجل بتلك الأمور الأسرار ، ثم جاء آخر قد علمنا أنه لم يتفق مع المخبر الأول ، فأخبر عن تلك المناجاة والأسرار مثلما أخبر به الأول ، جزمنا قطعاً بصدقهما.

ومعلوم أن موسى أخبر بما أخبر به قبل أن يبعث محمد ﷺ ، وقبل أن يبعث المسيح .

ومعلوم ـ أيضاً ـ لكل من كان عالماً بحال محمد ﷺ ، أنه نشأ بين قوم أميين، لا يقرؤون كتاباً ولا يعلمون علوم الأنبياء، وأنه لم يكن عندهم من يعلم ما في التوراة والإنجيل، ونبوة الأنبياء.

وقد أخبر محمد ﷺ من توحيد اللّه وصفاته، وأسمائه وملائكته وعرشه وكرسيه، وأنبيائه ورسله، وأخبارهم وأخبار مكذبيهم، بنظير ما يوجد في كتب الأنبياء ، من التوراة وغيرها.

فمن تدبر التوراة والقرآن، علم أنهما جميعاً يخرجان من مشكاة واحدة، كما ذكر ذلك النجاشي ، وكما قال ورقة بن نوفل : هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى.

٤/٢١٣ ولهذا قرن اللّه ـ تعالى ـ بين التوراة والقرآن في مثل هذا في قوله : ﴿**لَوْلا / أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ**﴾ إلى قوله: ﴿**إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾

[القصص: ٤٨، ٤٩]، وقالت الجن: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ الآية[الأحقاف: ٣٠] ، وقال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [هود: ١٧]، وقال : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأنعام: ٩١، ٩٢].

فهذه الطريقة ، كل من علم ما جاء به موسى والنبيون قبله وبعده، وما جاء به محمد ﷺ ، علم علماً يقيناً أنهم كلهم مخبرون عن اللّه، صادقون في الإخبار ، وأنه يمتنع ـ والعياذ باللّه ـ خلاف الصدق من خطأ وكذب.

ومن الطرق: الطرق الواضحة القاطعة المعلومة إلى قيام الساعة بالتواتر من أحوال أتباع الأنبياء، وأحوال من كذبهم وكفر بهم ، حال نوح وقومه، وهود وقومه، وصالح وقومه، وحال إبراهيم وقومه، وحال موسى وفرعون ، وحال محمد ﷺ وقومه.

وهذا الطريق قد بينها اللّه في غير موضع من كتابه كقوله: ﴿كَذَّبَتْ [قَبْلَهُمْ][1] قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[غافر: ٥]، وقال: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ . وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ . / وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ ٤/٢١٤
مُوسَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٢ـ٤٦]، وقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨]؟ وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥] .

فبين أنه تارك آثار القوم المعذبين للمشاهدة، ويستدل بذلك على عقوبة اللّه لهم، وقال تعالى : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الآيتين [الإسراء: ١٧، ١٨]. فذكر طريقين[2] يعلم بهما ذلك:

أحدهما: ما يعاين ويعقل بالقلوب.

والثاني: ما يسمع، فإنه قد تواتر عند كل أحد حال الأنبياء، ومصدقهم ومكذبهم، وعاينوا من آثارهم ما دل على أنه ـ سبحانه ـ عاقب مكذبهم وانتقم منهم، وأنهم كانوا على الحق الذي يحبه ويرضاه، وأن من كذبهم كان على الباطل الذي يغضب اللّه على

---

(١) سقطت من المطبوعة.

(٢) في المطبوعة :«طريقتين» والصواب ما أثبتناه.

أهله، وأن طاعة الرسل طاعة للّه ، ومعصيتهم معصية للّه.

ومن الطرق أيضاً: أن يعلم ما تواتر من معجزاتهم الباهرة، وآياتهم القاهرة، وأنه يمتنع أن تكون المعجزة على يد مدعي النبوة وهو كذاب، من غير تناقض، ولا تعارض، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع.

٤/٢١٥ / ومن الطرق : أن الرسل جاؤوا من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، بما هو معلوم عند كل عاقل لبيب، ولا ينكره إلا جاهل غاو.

وهذه الفتيا لا تسع البسط الكثير، فإذا تبين صدقهم وجب التصديق في كل ما أخبروا به، ووجب الحكم بكفر من آمن ببعض، وكفر ببعض. واللّه ـ سبحانه ـ وتعالى ـ أعلم، والحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على محمد وآله وصحبه أجمعين.

obeikandl.com

/ سُئلَ شيخُ الإسْلام أَبُو العَبَّاس ابن تَيْمية ـ قدس اللَّه رُوحَـهُ ـ ٤/٢١٦
عـن « الرَوح» ، هل هيَ قديمة، أو مخلوقة؟ وهل يُبدَّعَ مَن يقول بقدمها أم لا؟ وما قول أهل السنة فيها، وما المراد بقوله عز وجل : ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] . هل المفوض إلى اللّه ـ تعالى ـ أمر ذاتها، أوصفاتها، أو مجموعهما؟ بينوا ذلك من الكتاب والسنة.

فأجاب ـ رضي اللَّه عَنْهُ :

الحمد للّه رب العالمين، روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين، مثل محمد بن نصر المروزي، الإمام المشهور، الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف، أو من أعلمهم.

وكذلك أبو محمد بن قتيبة، قال في كتاب «اللقط» لما تكلم على خلق الروح قال: النَّسَم : الأرواح . قال: وأجمع الناس على أن اللّه خالق الجثة، / وبارئ النسمة، أي: ٤/٢١٧
خالق الروح. وقال أبو إسحاق بن شاقلا فيما أجاب به في هذه المسألة: سألت رحمك اللّه عن الروح مخلوقة أو غير مخلوقة، قال: هذا مما لا يشك فيه من وفق للصواب، إلى أن قال : والروح من الأشياء المخلوقة، وقد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء والمشائخ، وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة.

وصنف الحافظ أبو عبد اللّه بن مَنْدَه في ذلك كتاباً كبيراً في «الروح والنفس»، وذكر فيه من الأحاديث والآثار شيئاً كثيراً، وقبله الإمام محمد بن نصر المروزي وغيره، والشيخ أبو يعقوب الخراز، وأبو يعقوب النهرجوري، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم ؛ وقد نص على ذلك الأئمة الكبار، واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى ابن مريم ، لا سيما في روح غيره ،كما ذكره أحمد في كتابه في «الرد على الزنادقة والجهمية» فقال في أوله:

الحمد للّه الذي جعل في كل زمان فَتْرَة من الرمل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب اللّه الموتى، ويبصرون بنور اللّه أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب اللّه تحريف الغالين؛ وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة ،

فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب ، يقولون
٤/٢١٨ على اللّه ، وفي اللّه، وفي كتاب / اللّه بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ باللّه من فتن المضلين، وتكلم على ما يقال : إنه متعارض من القرآن إلى أن قال :

وكذلك الجهم وشيعته، دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، وأضلوا بشراً كثيراً ، فكان مما بلغنا من أمر الجهم ـ عدو اللّه ـ أنه كان من أهل خراسان من أهل الترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام، كان أكثر كلامه في اللّه، فلقى أناساً من المشركين يقال لهم (السمنية) فعرفوا الجهم، فقالوا له: نكلمك، فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك.

فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا : ألست تزعم أن لك إلهاً؟ قال الجهم: بلى[1]. فقالوا له : فهل رأيت إلهك؟ قال : لا. قالوا: فهل سمعت [2] كلامه؟ قال: لا. قالوا : فهل شممت له رائحة؟ قال : لا. قالوا له : فوجدت له مَجَسّا؟ قال: لا . قالوا : فما يدريك أنه إله؟ قال : فتحير الجهم ، فلم يدر من يعبد أربعين يوماً، ثم إنه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح اللّه، من ذاته، فإذا أراد أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه، فتكلم على لسان خلقه، فيأمر بما شاء، وينهى عما شاء، وهو روح غائب عن الأبصار.

فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة ، فقال للسمني: ألست تزعم أن فيك روحاً ؟
٤/٢١٩ قال بلى [3]. قال : فهل رأيت روحك؟ قال : لا . قال: فهل سمعت / كلامه؟ قال: لا. قال : فوجدت له حساً ومَجَسّاً؟ قال: لا . قال: كذلك اللّه، لا يرى له وجه، و لا يسمع له صوت، ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان.

وساق الإمام أحمد الكلام في «القرآن» و«الرؤية» وغير ذلك ، إلى أن قال : ثم إن الجهم ادعى أمراً، فقال: إنا وجدنا آية في كتاب اللّه تدل على القرآن أنه مخلوق، فقلنا: أي آية؟ قال: قول اللّه : ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**﴾ [النساء: ١٧١] وعيسى مخلوق.

فقلنا: إن اللّه منعك الفهم في القرآن، عيسى تجرى عليه ألفاظ لا تجرى على القرآن؛

---

(١) في المطبوعة : «نعم» وهو خطأ.

(٢) في المطبوعة: «سمت» وهو خطأ.

(٣) في المطبوعة : «نعم» وهو خطأ.

لأنه يسميه مولوداً، وطفلاً، وصبياً، وغلاماً، يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه الوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم ، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، هل سمعتم اللّه يقول في القرآن ما قال في عيسى ؟ ولكن المعنى في قول اللّه: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ**﴾[النساء :١٧١]، فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له : كن ، فكان عيسى بكن، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان ، فالكن من اللّه قول، وليس الكن مخلوقاً.

وكذب النصارى والجهمية على اللّه في أمر عيسى ، وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح اللّه وكلمته، إلا أن الكلمة مخلوقة، وقالت النصارى: / عيسى روح اللّه من ذات ٤/٢٢٠
اللّه، وكلمة اللّه من ذات اللّه، كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب.

وقلنا نحن : إن عيسى بالكلمة كان، وليس هو الكلمة . قال: وقول اللّه: ﴿ **وَرُوحٌ مِّنْهُ** ﴾ يقول من أمره كان الروح فيه، كقوله :﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ**﴾ [الجاثية:١٣] ، يقول: من أمره، وتفسير روح اللّه: أنها روح بكلمة اللّه، خلقها اللّه، كما يقال : عبد اللّه، وسماء اللّه، فقد ذكر الإمام أحمد أن زنادقة النصارى هم الذين يقولون : إن روح عيسى من ذات اللّه، وبين أن إضافة الروح إليه إضافة ملك وخلق، كقولك: عبد اللّه، وسماء اللّه، لا إضافة صفة إلى موصوف، فكيف بأرواح سائر الآدميين؟ وبين أن هؤلاء الزنادقة الحلولية يقولون بأن اللّه إذا أراد أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه.

وقال الشيخ أبو سعيد الخراز- أحد أكابر المشائخ الأئمة من أقران الجنيد، فيما صنفه - في أن الأرواح مخلوقة، وقد احتج بأمور منها : لو لم تكن مخلوقة لما أقرت بالربوبية، وقد قال لهم حين أخذ الميثاق - وهم أرواح في أشباح ؛ كالذر -: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا**﴾ [الأعراف:١٧٢]، وإنما خاطب الروح مع الجسد، وهل يكون الرب إلا لمربوب ؟ قال: ولأنها لو لم تكن مخلوقة ما كان على النصارى لوم في عبادتهم عيسى، ولا حين قالوا: إنه ابن اللّه، وقالوا : هو اللّه.

/ قال: ولأنه لو كان الروح غير مخلوق ما دخلت النار، ولأنها لو كانت غير مخلوقة ٤/٢٢١
لما حجبت عن اللّه، ولا غيبت في البدن ، ولا ملكها ملك الموت، ولما كانت صورة توصف ؛ ولأنها لو لم تكن مخلوقة لم تحاسب ولم تعذب، ولم تتعبد ولم تخف ، ولم ترج. ولأن أرواح المؤمنين تتلألأ وأرواح الكفار سود مثل الحمم.

وقال ﷺ : « أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ترتع في الجنة، وتأوى في فناء العرش» (١) ، وأرواح الكفار في برهوت (٢) (٣).

وقال الشيخ أبو يعقوب النهرجوري: هذه الأرواح من أمر اللّه مخلوقة .خلقها اللّه من الملكوت، كما خلق آدم من التراب، وكل عبد نسب روحه إلى ذات اللّه أخرجه ذلك إلى التعطيل، والذين نسبوا الأرواح إلى ذات اللّه هم أهل الحلول الخارجون إلى الإباحة، وقالوا: إذا صفت أرواحنا من أكدار نفوسنا فقد اتصلنا ، وصرنا أحراراً، ووضعت عنا العبودية، وأبيح لنا كل شيء من اللذات من النساء، والأموال وغير ذلك. وهم زنادقة هذه الأمة وذكر عدة مقالات لها وللزنادقة .

قلت: واعلم أن القائلين بقدم الروح صنفان:

٤/٢٢٢ **صنف** من الصابئة الفلاسفة، يقولون : هي قديمة أزلية لكن ليست من / ذات الرب، كما يقولون ذلك في العقول ، والنفوس الفلكية ، ويزعم من دخل من أهل الملل فيهم أنها هي الملائكة.

وصنف من زنادقة هذه الأمة وضلالها ـ من المتصوفة والمتكلمة والمحدثة ـ يزعمون أنها من ذات اللّه، وهؤلاء أشرُّ قولاً من أولئك، وهؤلاء جعلوا الآدمي نصفين: نصف لاهوت، وهو روحه، ونصف ناسوت، وهو جسده ، نصفه رب ونصفه عبد.

وقد كفَّر اللّه النصارى بنحو من هذا القول في المسيح، فكيف بمن يعم ذلك في كل أحد ؟ حتى في فرعون ، وهامان، وقارون ، وكل ما دل على أن الإنسان عبد مخلوق مربوب، وأن اللّه ربه وخالقه ومالكه وإلهه، فهو يدل على أن روحه مخلوقة .

فإن الإنسان عبارة عن البدن والروح معاً، بل هو بالروح أخص منه بالبدن، وإنما البدن مطية للروح،كما قال أبو الدرداء : إنما بدني مطيتي، فإن رفقت بها بلغتني، وإن لم أرفق بها لم تبلغني.وقد رواه ابن منده وغيره عن ابن عباس قال:لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلق حتى تختصم الروح والبدن، فتقول الروح للبدن:أنت عملت السيئات، فيقول البدن للروح: أنت أمرتني، فيبعث اللّه ملكاً يقضى بينهما، فيقول : إنما مثلكما كمثل مُقْعَد وأعمى دخلا بستاناً ، فرأى المقعد فيه ثمراً معلقاً، فقال للأعمى : إني أرى

---

(١) مسلم في الإمارة (١٨٨٧/ ١٢١)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠١١) ، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٠١)، كلهم عن عبد الله بن مسعود.

(٢) برهوت: بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول إلى قعرها. النهاية في غريب الحديث ١/ ١٢٢.

(٣) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ١٨٧ موقوفًا على عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

ثمراً، ولكن / لا أستطيع النهوض إليه، وقال الأعمى : لكني أستطيع النهوض إليه ٤/٢٢٣
ولكني لا أراه . فقال له المقعد : تعال ، فاحملني حتى أقطفه، فحمله وجعل يأمره فيسير به إلى حيث يشاء فقطع الثمر. قال:الملك : فعلى أيهما العقوبة؟ فقالا:عليهما جميعاً قال: فكذلك أنتما.

وأيضاً، فقد استفاضت الأحاديث عن النبي ﷺ بأن الأرواح تقبض ، وتنعم وتعذب، ويقال لها: اخرجي أيتها الروح الطيبة ،كانت في الجسد الطيب ، اخرجي أيتها الروح الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ويقال للأولى: أبشري بَروْح وريْحان، ويقال للثانية: أبشري بحَميم وغَسَّاق وآخر من شكله أزواج، وأن أرواح المؤمنين تعرج إلى السماء، وأن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء.

وفي صحيح مسلم عن عبد اللّه بن شَقِيق عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال : «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها»، قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك ؛ قال:«فيقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى اللّه عليك، وعلى جسد كنت تعمرينه، فينطلق به إلى ربه، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل»، قال: «وإن الكافر إذا خرجت روحه»، قال حماد: وذكر من نتنها وذكر لعناً، «فيقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض، قال: فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل». قال أبو هريرة ـ رضي اللّه عنه : فلما ذكر رسول اللّه ﷺ النتن رد على أنفه ريطة[1] كانت عليه[2].

/ وفي حديث المعراج الصحيح أن النبي ﷺ رأى آدم ،وأرواح بنيه عن يمينه وشماله، ٤/٢٢٤
قال رسول اللّه ﷺ: «فلما علونا السماء فإذا رجل عن يمينه أسْوِدَة، وعن شماله أسودة»، قال :« فإذا نظر قِبَل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى »، قال: «مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح» ، قال:«قلت: يا جبريل ، من هذا ؟ قال : هذا آدم ﷺ ،وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى»[3].

وقد ثبت ـ أيضاً ـ أن أرواح المؤمنين والشهداء وغيرهم في الجنة ، قال الإمام أحمد

---

(١) الرِّيطَة: هي الثوب اللين الرقيق. انظر: القاموس المحيط ، مادة «ريط».
(٢) مسلم في الجنة (٢٨٧٢/ ٧٥).
(٣) البخاري في الأنبياء (٣٣٤٢)، ومسلم في الإيمان (١٦٣/ ٢٦٣)، وأحمد ٥/ ١٤٣.
و «أسودة»: جمع سواد، وتجمع على أساود، وهي الجماعات المتفرقة، وقيل: هي جمع لـ «سواد»، وهو الشخص، كذلك؛ لأنه يرى من بعيد. انظر: لسان العرب، مادة «سود».

في رواية حنبل: أرواح الكفار في النار ، وأرواح المؤمنين في الجنة، والأبدان في الدنيا ، يعذب اللّه من يشاء، ويرحم بعفوه من يشاء. وقال عبد اللّه بن أحمد : سألت أبي عن أرواح الموتى: أتكون في أفنية قبورها؟ أم في حواصل طير؟ أم تموت كما تموت الأجساد؟ فقال: قد روى عن النبي ﷺ أنه قال: « نَسَمَة المؤمن إذا مات طائر تعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه اللّه إلى جسده يوم يبعثه»(١).

وقد روى عن عبد اللّه بن عمرو أنه قال : أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر كالزَّرَازِير(٢)، يتعارفون فيها ويرزقون من ثمرها ، قال: وقال بعض الناس: أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، تأوى إلى قناديل في الجنة معلقة بالعرش.

٤/٢٢٥ وقد روى مسلم في صحيحه عن مسروق قال: سألنا عبد اللّه ـ يعني ابن / مسعود ـ عن هذه الآية: ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٦٩]،فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول اللّه ﷺ فقال: « إن أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث تشاء، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح في الجنة حيث نشاء؟ ـ ففعل بهم ذلك ثلاث مرات ـ فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب ،نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا؛ حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»(٣).

وقد قال اللّه تعالى : ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر: ٢٧ـ٣٠] ، فخاطبها بالرجوع إلى ربها، وبالدخول في عباده ودخول جنته، وهذا تصريح بأنها مربوبة. والنفس هنا هي الروح التي تقبض، وإنما تتنوع صفاتها، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح ـ لما ناموا عن صلاة الفجر في السفر ـ قال: « إن اللّه قبض أرواحنا حيث شاء، وردها حيث شاء » وفي رواية: «قبض أنفسنا حيث شاء» (٤) ،وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ**﴾[الزمر: ٤٢]، والمقبوض المتوفى هي الروح، كما في صحيح مسلم عن أم سلمة قالت: دخل رسول اللّه ﷺ، على أبي سلمة وقد شق بصره،

---

(١) أحمد ٣/ ٤٥٥ ، وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه (٤٢٧١). و«نَسَمَة المؤمن» : أي روحه. انظر: القاموس، مادة «نسم».

(٢) الزرازير: جمع زرزور، وهو نوع من العصافير.

(٣) مسلم فى الإمارة (١٨٨٧ / ١٢١) .

(٤) البخاري في مواقيت الصلاة (٥٩٥) عن أبي قتادة.

فأغمضه ، ثم قال: « إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، فضج ناس من أهله فقال:/« لا ٤/٢٢٦
تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يُؤَمِّنُون على ما تقولون»، ثم قال : «اللّهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له في قبره، ونور له فيه»(١).

وروى مسلم ـ أيضاً ـ عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ: «ألم تروا أن الإنسان إذا مات شَخَصَ بصره؟» قالوا: بلى . قال: «فكذلك حين يتبع بصره نفسه»(٢) فسماه تارة روحاً ، وتارة نفساً.

وروى أحمد بن حنبل ، وابن ماجه عن شداد بن أوس قال : قال رسول اللّه ﷺ : «إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر؛ فإن البصر يتبع الروح، وقولوا خيراً ، فإنه يُؤَمَّن على ما يقول أهل الميت»(٣).

ودلائل هذا الأصل وبيان مسمى «الروح والنفس» وما فيه من الاشتراك كثير لا يحتمله هذا الجواب، وقد بسطناه في غير هذا الموضع.

فقد بان بما ذكرناه أن من قال : إن أرواح بني آدم قديمة غير مخلوقة ، فهو من أعظم أهل البدع الحلولية، الذين يجر قولهم إلى التعطيل ، بجعل العبد هو الرب وغير ذلك من البدع الكاذبة المضلة.

وأما قوله تعالى :﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:٨٥] ، فقد قيل :إن الروح هنا ليس هو روح الآدمي، وإنما هو ملك في قوله:﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ:٣٨] ، /وقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤] ، وقوله:﴿ تَنَزَّلُ ٤/٢٢٧
الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ [القدر:٤] وقيل: بل هو روح الآدمي، والقولان مشهوران، وسواء كانت الآية تعمهما، أو تتناول أحدهما، فليس فيها ما يدل على أن الروح غير مخلوقة لوجهين:

أحدهما: أن الأمر في القرآن يراد به المصدر تارة، ويراد به المفعول تارة أخرى وهو المأمور به ، كقوله تعالى :﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١] ، وقوله : ﴿وَكَانَ أَمْرُ

---

(١) مسلم في الجنائز (٧/٩٢٠)، وأبو داود في الجنائز (٣١١٨)، وأحمد ٦/٢٩٧، كلهم عن أم سلمة.

(٢) مسلم في الجنائز(٩/٩٢١). وقوله:« شَخَص بصره»: أي فتح عينيه لا يَطرِف. انظر:المصباح المنير، مادة «شخص».

(٣) ابن ماجه في الجنائز (١٤٥٥) وفي الزوائد:« إسناده حسن لأن قزعة بن سويد مختلف فيه، وباقي رجاله ثقات»، وأحمد ٤/ ١٢٥.

اللّه قَدَرًا مَّقْدُوراً ﴾ [الأحزاب:٣٨] وهذا في لفظ غير الأمر، كلفظ الخلق والقدرة والرحمة والكلمة وغير ذلك. ولو قيل: إن الروح بعض أمر اللّه أو جزء من أمر اللّه، ونحو ذلك مما هو صريح في أنها بعض أمر اللّه، لم يكن المراد بلفظ الأمر إلا المأمور به لا المصدر؛ لأن الروح عين قائمة بنفسها، تذهب وتجيء وتنعم وتعذب، وهذا لا يتصور أن يكون مسمى مصدر: أمر يأمر أمراً . وهذا قول سلف الأمة وأئمتها وجمهورها.

ومن قال من المتكلمين : إن الروح عرض قائم بالجسم ، فليس عنده مصدر: أمر يأمر أمراً .

والقرآن إذا سمى أمر اللّه، فالقرآن كلام « اللّه» والكلام اسم مصدر: كَلَّم يُكَلِّم تكليماً وكلامًا ، وتَكَلَّم تَكَلماً وكلاماً . فإذا سمى أمراً بمعنى المصدر كان ذلك مطابقاً ، لا سيما والكلام نوعان: أمر وخبر.

٤/٢٢٨ / أما الأعيان القائمة بأنفسها فلا تسمى أمراً لا بمعنى المفعول به وهو المأمور به كما سمى المسيح كلمة؛ لأنه مفعول بالكلمة ، وكما يسمى المقدور قدرة والجنة رحمة، والمطر رحمة، في مثل قوله: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠]، وفي قول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال للجنة: « أنت رحمتي أرحم بك من شئت»[١] ، وقوله :«إن اللَّهَ خلقَ الرحمة ـ يوم خلقها ـ مائة رحمة»[٢] ونظائر ذلك كثيرة، وهذا جواب أبي سعيد الخراز، قال: فإن قيل: قد قال تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:٨٥] وأمره منه قيل : أمره ـ تعالى ـ هو المأمور به المكون بتكوين المكون له .

وكذلك قال ابن قتيبة في «كتاب المشكل» : أقسام الروح ، فقال : هي روح الأجسام التي يقبضها اللّه عند الممات ، والروح جبريل ، قال تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء:١٩٣] ، وقال : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة:٨٧، ٢٥٣]، أي: جبريل، والروح ـ فيما ذكره المفسرون ـ ملك عظيم من ملائكة اللّه ـ تعالى ـ يقوم وحده فيكون صفا، وتقوم الملائكة صفا، وقال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:٨٥] ، قال : ونسب الروح إلى اللّه ؛لأنه بأمره، أو لأنه بكلمته.

---

(١) البخاري في التفسير(٤٨٥٠)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٣٥/٢٨٤٦)، والترمذي في صفة الجنة (٢٥٦١) ، وأحمد٢/٢٧٦، ٣١٤، كلهم عن أبي هريرة.

(٢) البخاري في الرقاق (٦٤٦٩) ، ومسلم في التوبة (١٨/٢٧٥٢)، والترمذي في الدعوات (٣٥٤١) ، وابن ماجه في الزهد (٤٢٩٣) وأحمد ٢/ ٤٣٣، كلهم عن أبي هريرة.

والوجه الثاني : أن لفظة (من) في اللغة قد تكون لبيان الجنس، كقولهم :باب من حديد . وقد تكون لابتداء الغاية، كقولهم :خرجت من مكة، فقوله تعالى : ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ ليس نصاً في أن الروح بعض الأمر، ومن / جنسه، بل قد تكون لابتداء ٤/٢٢٩
الغاية إذ كونت بالأمر، وصدرت عنه، وهذا معنى جواب الإمام أحمد في قوله: ﴿**وَرُوحٌ مِّنْهُ**﴾ [النساء: ١٧١] حيث قال : ﴿ **وَرُوحٌ مِّنْهُ** ﴾ يقول: من أمره كان الروح منه كقوله : ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ** ﴾ [الجاثية: ١٣] ، ونظير هذا أيضاً قوله: ﴿**وَمَا بِكُم[1] مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾ [النحل: ٥٣].

فإذا كانت المسخرات والنعم من اللّه ، ولم تكن بعض ذاته بل منه صدرت، لم يجب أن يكون معنى قوله في المسيح: ﴿رُوحٌ مِّنْهُ﴾؛ أنها بعض ذات اللّه، ومعلوم أن قوله : ﴿رُوحٌ مِّنْهُ﴾ أبلغ من قوله: ﴿**الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ فإذا كان قوله: ﴿**وَرُوحٌ مِّنْهُ** ﴾ لا يمنع أن يكون مخلوقاً، ولا يوجب أن يكون بعضاً له ، فقوله: ﴿**الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ أولى بألا يمنع أن يكون مخلوقاً، ولا يوجب أن يكون ذلك بعضاً له بل ولا بعضاً من أمره.

وهذا الوجه يتوجه إذا كان الأمر هو الأمر الذي هو صفة من صفات اللّه، فهذان الجوابان كل منهما مستقل ، ويمكن أن يجعل منهما جواب مركب، فيقال: قوله: ﴿**الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ إما أن يراد بالأمر المأمور به ، أو صفة للّه ـ تعالى ـ وإن أريد به الأول أمكن أن تكون الروح بعض ذلك، فتكون مخلوقة ، وإن أريد بالأمر صفة (اللّه) كان قوله: ﴿**الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ كقوله: ﴿**وَرُوحٌ مِّنْهُ**﴾، وقوله: ﴿ **جَمِيعاً مِّنْهُ** ﴾ ونحو ذلك .

وإنما نشأت الشبهة حيث ظن الظان أن الأمر صفة للّه قديمة، وأن روح /بني آدم بعض ٤/٢٣٠
تلك الصفة، ولم تدل الآية على واحد من المقدمتين، واللّه ـ سبحانه ـ أعلم .

وقد يجيء اسم الروح في القرآن بمعنى آخر ، كقوله: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا**﴾ [الشورى: ٥٢]، وقوله: ﴿**كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ**﴾ [المجادلة: ٢٢]، ونحو ذلك. فالقرآن الذي أنزله اللّه كلامه، ولكن ليس الكلام في هذا مما يتعلق بالسؤال.

وأما قول السائل: هل المفوض إلى اللّه أمر ذاتها أو صفاتها أو مجموعهما؟ فليس هذا من خصائص الكلام في الروح ، بل لا يجوز لأحد أن يقفو ما ليس له به علم، ولا يقول على اللّه ما لا يعلم ، قال تعالى :﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٦] ، وقال تعالى :﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ**

---

(١) في المطبوعة :« أصابكم» ، والصواب ما أثبتناه.

﴿الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣] ، وقال تعالى :﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ [الأعراف:١٦٩]، وقد قالت الملائكة لما قال لهم : ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢]، وقد قال موسى للخضر :﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦] ، وقال الخضر لموسى ـ لما نقر العصفور في البحر ـ : ما نقص علمي وعلمك من علم اللّه، إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر(١).

٤/٢٣١ / وليس في الكتاب والسنة أن المسلمين نهوا أن يتكلموا في الروح بما دل عليه الكتاب والسنة، لا في ذاتها ولا في صفاتها، وأما الكلام بغير علم فذلك محرم في كل شيء، ولكن قد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أن النبي ﷺ كان في بعض سكك المدينة ، فقال بعضهم: سلوه عن الروح، وقال بعضهم :لا تسألوه فيسمعكم ما تكرهون، قال: فسألوه وهو متكئ على العسيب(٢)، فأنزل اللّه هذه الآية (٣).

فبين بذلك أن ملك الرب عظيم، وجنوده، وصفة ذلك، وقدرته أعظم من أن يحيط به الآدميون، وهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً، فلا يظن من يدعى العلم أنه يمكنه أن يعلم كل ما سئل عنه ولا كل ما في الوجود ، فما يعلم جنود ربك إلا هو.

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٧٢٤) ومسلم فى الفضائل (٢٣٨٠ / ١٧٠) .

(٢) العسيب : جريدة من النخل. انظر:النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٣٤.

(٣) البخاري في العلم (١٢٥)، وفي التفسير (٤٧٢١)، ومسلم في صفات المنافقين (٣٢/٢٧٩٤، ٣٣)، والترمذي في تفسير القرآن (٣١٤١) .

٤/٢٣٢ / سئل الشَّيخُ ـ رَحمَهُ اللَّهُ ـ عن قائل يقول : إن لم يتبين لي حقيقة ماهية الجن وكُنْه صفاتهم ، وإلا فلا أتبع العلماء في شيء.

فأجـــاب :

أما كونه لم يتبين له كيفية الجن وماهياتهم ، فهذا ليس فيه إلا إخباره بعدم علمه، لم ينكر وجودهم؛ إذ وجودهم ثابت بطرق كثيرة غير دلالة الكتاب والسنة، فإن من الناس من رآهم، وفيهم من رأى من رآهم، وثبت ذلك عنده بالخبر واليقين.

ومن الناس من كلمهم وكلموه، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم، وهذا يكون للصالحين وغير الصالحين، ولو ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطال الخطاب.

وكذلك ما جرى لغيرنا، لكن الاعتماد على الأجوبة العلمية يكون على ما يشترك الناس في علمه، لا يكون بما يختص بعلمه المجيب ، إلا أن يكون الجواب لمن يصدقه فيما يخبر به .

٤/٢٣٣ / **سئل الشَّيْخُ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن الجان المؤمنين : هل هم مخاطبون بفروع الإسلام كالصوم والصلاة ، وغير ذلك من العبادات ، أوهم مخاطبون بنفس التصديق لا غير ؟**

فأجَـــاب:

لا ريب أنهم مأمورون بأعمال زائدة على التصديق، ومنهيون عن أعمال غير التكذيب، فهم مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم، فإنهم ليسوا مماثلي الإنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحد ، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي، والتحليل والتحريم. وهذا ما لم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين.

وكذلك لم يتنازعوا أن أهل الكفر والفسوق والعصيان منهم يستحقون لعذاب النار، كما يدخلها من الآدميين، لكن تنازعوا في أهل الإيمان منهم، فذهب الجمهور من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد :إلى أنهم يدخلون الجنة. وروى في حديث رواه الطبراني:أنهم يكونون في رَبَضِ الجنة[1]، يراهم الإنس من حيث لا يرونهم.

٤/٢٣٤ / وذهب طائفة ـ منهم أبو حنيفة فيما نقل عنه ـ إلى أن المطيعين منهم يصيرون تراباً كالبهائم، ويكون ثوابهم النجاة من النار.

وهل فيهم رسل أم ليس فيهم إلا نذر؟ على قولين:

فقيل:فيهم رسل لقوله تعالى:﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ**﴾ [الأنعام: ١٣٠] .

وقيل : الرسل من الإنس ، والجن فيهم النذر ، وهذا أشهر ، فإنه أخبر عنهم باتباع دين محمد ﷺ ، وأنهم ﴿ **وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ**﴾الآية [الأحقاف:٢٩، ٣٠] قالوا:وقوله:﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ**﴾؟ كقوله: ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾[الرحمن :٢٢]، وإنما يخرج من المالح، وكقوله: ﴿**وَجَعَلَ الْقَمَرَ**

---

(١) رَبَض الجنة: أي ما حولها خارجا عنها. انظر: النهاية ٢/ ١٨٥.

﴿فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] والقمر في واحدة.

وأما التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم، فدلائله كثيرة، مثل ما في مسلم عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، فانطلقوا» فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: «لكم كل عَظْم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم، أوفر ما يكون، وكل بعرة علف لدوابكم»، فقال النبي ﷺ: «لا تستنجوا بالعظم والروث»[1] وذلك لئلا يفسد عليهم طعامهم وعلفهم، وهذا يبين أن ما أباح لهم من ذلك ما ذكر اسم الله عليه دون ما لم يذكر اسم الله عليه.

/ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨] فأخبر عن الشيطان أنه يخاف الله، والعقوبة إنما تكون على ترك مأمور أو فعل محظور، وليس هو هنا التصديق. ٤/٢٣٥

وأيضاً، فإبليس - الذي هو أبو الجن - لم تكن معصيته تكذيباً؛ فإن الله أمره بالسجود، وقد علم أن الله أمره، ولم يكن بينه وبين الله رسول يكذبه، ولما امتنع عن السجود لآدم عاقبه الله العقوبة البليغة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «إذا سَجَد ابنُ آدمَ اعتزل الشيطان يبكي» الحديث[2].

وقد قال - تعالى - في قصة سليمان: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢] وقد جعل في ذلك ما أمرهم به من طاعة سليمان، وقد قال - تعالى - عن إبليس: إنه عصى ولم يقل: كذب، وقد قال - تعالى - عن الجن: ﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية [الأحقاف: ٣٠-٣٢]، فأمروا بإجابة داعي الله، الذي هو الرسول. والإجابة والاستجابة هي طاعة الأمر والنهي، وهي العبادة التي خلق لها الثقلان، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومن قال: «إن العبادة» هي المعرفة الفطرية الموجودة فيها، وأن ذلك هو الإيمان وهو داخل في الثقلين فقط، فإن ذلك لو كان كذلك لم يكن في الثقلين كافر، والله أخبر بكفر إبليس وغيره من الجن والإنس، وقد قال تعالى: / ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] وأخبر أنه يملؤها منه ومن أتباعه، وهذا يبين أنه لا يدخلها إلا من ٤/٢٣٦

(١) مسلم في الصلاة (٤٥٠ / ١٥٠)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٢٥٨)، وأحمد ١/ ٤٣٦.

(٢) مسلم في الإيمان(٨١/ ١٣٣)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٥٢)، وأحمد ٢/ ٤٤٣، كلهم عن أبي هريرة.

اتبعه، فعلم أن من يدخلها من الكفار والفساق من أتباع إبليس. ومعلوم أن الكفار ليسوا بمؤمنين، ولا عارفين اللّه معرفة يكونون بها مؤمنين.

ولكن اللام لبيان الجملة الشرعية ، المتعلقة بالإرادة الشرعية، كما في قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة :١٨٥] ، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُم ﴾ الآية [النساء:٢٦].

وقد تكون لبيان العاقبة الكونية كما في قوله : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾ الآية [الأنعام:١٢٥] ، وهذا كقوله تعالى : ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود :١١٨، ١١٩] أي خلق قومًا للاختلاف، وقوماً للرحمة، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف:١٧٩] ، فاللام في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] ، وإن كانت هي اللام في هذه الآية، فإن مدلولها لام إرادة الفاعل ومقصوده، ولهذا تنقسم في كتاب اللّه إلى إرادة دينية، وإرادة كونية، كما تنقسم في كتاب اللّه ـ تعالى ـ الكلمات والأمر والحكم والقضاء، والتحريم والإذن ، وغير ذلك .

وأيضاً، فقوله تعالى : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ إلى قوله: ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ / كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤/٢٣٧ ١٣٠] ، فبين أن الثقلين جميعاً تلت عليهم الرسل آيات اللّه؛ ولهذا لما قرأ رسول اللّه ﷺ سورة على الصحابة قال: «لَلْجِنُّ كانوا . . . » الحديث[1]. دعاهم إلى طاعة اللّه لما فيه من الأمر والنهي ، لا إلى مجرد حديث لا طاعة معه، فإن مثل هذا التصديق ، كان مع إبليس ، فلم يغن عنه من اللّه شيئاً .

والدلائل الدالة على هذا الأصل، وما في الحديث والآثار- من كون الجن يحجون ويصلون ويجاهدون ، وأنهم يعاقبون على الذنب ـ كثيرة جداً .

وقد قال ـ تعالى ـ فيما أخبر عنهم :﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [الجن:١١] قالوا :مذاهب شتى ؛ مسلمين، ويهود ، ونصارى، وشيعة، وسنة.

فأخبر أن منهم الصالحين [2]، ومنهم دون الصالحين، فيكون : إما مطيعًا في ذلك فيكون مؤمنا، وإما عاصياً في ذلك فيكون كافراً، ولا ينقسم مؤمن إلى صالح وإلى غير صالح ؛ فإن غير الصالح لا يعتقد صلاحه لترك الطاعات ، فالصالح هو القائم بما وجب

(١) الترمذي في تفسير القرآن (٣٢٩١)، بمعناه، وقال: «حديث غريب».

(٢) في المطبوعة :« الصالحون» وهو خطأ.

عليه، ودون الصالح لابد أن يكون عاصياً في بعض ما أمر به ، و هو قسم غير الكافر؛ فإن الكافر لا يوصف بمثل ذلك ، وهذا يبين أن فيهم من يترك بعض الواجبات ، واللّه أعلم.

obeikandl.com

٤/٢٣٨ / **سُئلَ ـ رَحمهَ اللَّهُ ـ عن حديث النبي ﷺ: « إن النطفة تكون أربعين يوماً نطفة، ثم أربعينَ يوماًعلقةَ، ثم أربعين مضغة، ثم يكون التصوير والتخطيط والتشكيل» ثم ورد عن حذيفة بن أسيد: « أنه إذا مر للنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث اللّه ـ تعالى ـ إليها ملكاً فصورها، وخلق سمعها وبصرها، وجلدها ولحمها، وعظامها، ثم يقول : يا رب ، أذكر، أم أنثى ؟ شقي أم سعيد ؟ فما الرزق وما الأجل؟ » وذكر الحديث ، فما الجمع بين الحديثين؟**

فأجَـــاب :

الحمد للّه رب العالمين، أما الحديث الأول ، فهو في الصحيحين عن عبد اللّه بن مسعود قال: حدثنا رسول اللّه ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق : «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد . فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ،حتى ما يكون
٤/٢٣٩ بينه وبينها إلا ذراع، / فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ،حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» (١).

وفي طريق آخر: وفي رواية :« ثم يبعث اللّه ملكاً ويؤمر بأربع كلمات، ويقال: اكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أو سعيد. ثم ينفخ فيه الروح»(٢). فهذا الحديث الصحيح ليس فيه ذكر التصوير متى يكون ، لكن فيه أن الملك يكتب رزقه وأجله، وعمله وشقي أو سعيد ، قبل نفخ الروح وبعد أن يكون مضغة.

وحديث أنس بن مالك الذي في الصحيح يوافق هذا وهو مرفوع قال : « إن اللّه عز وجل وكل بالرحم ملكا فيقول : أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد اللّه أن يقضي خلقها قال الملك: أي رب، ذكر أم أنثى ؟ شقي أو سعيد ؟ فما الرزق فما

---

(١) البخاري في القدر(٦٥٩٤)، ومسلم في القدر(٢٦٤٣/ ١-٣).

(٢) انظر: تخريج الحديث السابق.

الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه»[1]. فبين في هذا أن الكتابة تكون بعد أن يكون مضغة.

وأما حديث حذيفة بن أسيد، فهو من أفراد مسلم، ولفظه: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً، فصورها، وخلق سمعها وبصرها، وجلدها ولحمها وعظامها. ثم يقول: يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يارب، رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك؛ ثم يقول: يا رب، أجله؟ فيقضي / ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك ٤/٢٤٠
بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص»[2].

فهذا الحديث، فيه أن تصويرها بعد اثنتين وأربعين ليلة، وأنه بعد تصويرها وخلق سمعها وبصرها، وجلدها ولحمها وعظامها، يقول الملك: يا رب، أذكر أم أنثى؟ ومعلوم أنها لا تكون لحما وعظاماً حتى تكون مضغة، فهذا موافق لذلك الحديث في أن كتابة الملك تكون بعد ذلك، إلا أن يقال: المراد تقدير اللحم والعظام.

وقد روى هذا الحديث بألفاظ فيها إجمال بعضها أبين من بعض، فمن ذلك ما رواه مسلم ـ أيضا ـ عن حذيفة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن النطفة تكون في الرحم أربعين ليلة، ثم يَتَسَوَّرُ عليها الذي يخلِّقها فيقول: يا رب، أذكر، أم أنثى؟ فيجعله الله ذكراً، أو أنثى. ثم يقول: يا رب، سوَيٌّ، أو غير سوَيٍّ؟ فيجعله الله ـ تعالى ـ سوياً أو غير سوي ثم يقول: يا رب، ما أجله وخلقه؟ ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً»[3].

فهذا فيه بيان أن كتابة رزقه وأجله، وشقاوته وسعادته، بعد أن يجعله ذكراً أو أنثى، وسوياً، أو غير سوي.

وفي لفظ لمسلم قال: «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة أو بخمس وأربعين ليلة. فيقول: يا رب، أشقي، أو سعيد؟ فيكتب. يا رب، أذكر، أم أنثى؟ فيكتب رزقه، ويكتب عمله، وأثره، وأجله، / ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ٤/٢٤١
ولا ينقص»[4] فهذا اللفظ فيه تقديم كتابة السعادة والشقاوة، ولكن يشعر بأن ذلك يكتب بحيث مضت الأربعون.

---

(١) مسلم في القدر (٢٦٤٦/ ٥).

(٢) مسلم في القدر (٢٦٤٥/ ٣).

(٣) مسلم في القدر (٢٦٤٥/ ٤). وقوله: «يَتَسَوّر عليها» أي: ينزل عليها. انظر: لسان العرب، مادة «سور».

(٤) مسلم في القدر (٢٦٤٤/ ٢).

ولكن هذا اللفظ لم يحفظه رواته كما حفظ غيره.

ولهذا شك: أبَعْدَ الأربعين ، أو خمس وأربعين؟ وغيره إنما ذكر أربعين، أو اثنين وأربعين، وهو الصواب ؛ لأن من ذكر اثنين وأربعين ذكر طرفى الزمان، ومن قال: أربعين حذفهما، ومثل هذا كثير في ذكر الأوقات، فقدم المؤخر وأخر المقدم. أو يقال : إنه لم يذكر ذلك بحرف(ثم) فلا تقتضي ترتيباً، وإنما قصد أن هذه الأشياء تكون بعد الأربعين.

وحينئذ فيقال: أحد الأمرين لازم، إما أن تكون هذه الأمور عقيب الأربعين، ثم تكون عقب المائة والعشرين، ولا محذور في الكتابة مرتين ، ويكون المكتوب أولا فيه كتابة الذكر والأنثى . أو يقال : إن ألفاظ هذا الحديث لم تضبط حق الضبط.

ولهذا اختلفت رواته في ألفاظه ، ولهذا أعرض البخاري عن روايته، وقد يكون أصل الحديث صحيحاً، ويقع في بعض ألفاظه اضطراب ، فلا يصلح حينئذ أن يعارض بها ما ثبت في الحديث الصحيح المتفق عليه، الذي لم تختلف ألفاظه، بل قد صدقه غيره من الحديث الصحيح، فقد تلخص الجواب أن ما عارض الحديث المتفق عليه : إما أن يكون
٤/٢٤٢ موافقاً له في الحقيقة، وإما أن يكون / غير محفوظ ، فلا معارضة ، ولا ريب أن ألفاظه لم تضبط، كما تقدم ذكر الاختلاف فيها، وأقربها اللفظ الذي فيه تقدم التصوير على تقدير الأجل والعمل، و الشقاوة والسعادة، وغاية ما يقال فيه: إنه يقتضي أنه قد يخلق في الأربعين الثانية قبل دخوله في الأربعين الثالثة، وهذا لا يخالف الحديث الصحيح، ولا نعلم أنه باطل، بل قد ذكر النساء: أن الجنين يخلق بعد الأربعين، وأن الذكر يخلق قبل الأنثى.

وهذا يقدم على قول من قال من الفقهاء: إن الجنين لا يخلق في أقل من واحد وثمانين يوماً، فإن هذا إنما بنوه على أن التخليق إنما يكون إذا صار مضغة، ولا يكون مضغة إلا بعد الثمانين، والتخليق ممكن قبل ذلك، وقد أخبر به من أخبر من النساء، ونفس العلقة يمكن تخليقها ، والله أعلم ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

/ وقالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ـ رَحمهُ اللَّهُ ـ رداً لقول من قال : كل مولود على ما سبق له في علم الله أنه سائر إليه : ٤/٢٤٣

معلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثابة ، فجميع البهائم هي مولودة على ما سبق في علم اللّه لها، وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقاً على الفطرة.

وأيضا، فلو كان المراد ذلك لم يكن لقوله:« فأبواه يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه ويُمَجِّسَانه» معنى، فإنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها، فلا فرق بين التهويد والتنصير. ثم قال : فتمثيله ﷺ بالبهيمة التي ولدت جَمعَاء [1]، ثم جدعت: يبين أن أبويه غيرا ما ولد عليه.

ثم يقال: وقولكم : خلقوا خالين من المعرفة والإنكار، من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحداً منهما ، بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان والكفر، وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر، فهذا قول فاسد جداً.

/ فحينئذ ، لا فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار ، والتهويد والتنصير، والإسلام، وإنما ذلك بحسب الأسباب ، فكان ينبغي أن يقال : فأبواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه، فلما ذكر أن أبويه يكفرانه، وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام ، علم أن حكمه في حصول سبب مفصل غير حكم الكفر. ٤/٢٤٤

ثم قال : ففي الجملة كل ما كان قابلاً للمدح والذم على السواء، لا يستحق مدحاً ولا ذماً ، واللّه تعالى يقول: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ [الروم: ٣٠] .

وأيضاً، فالنبي ﷺ شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق، وشبه ما يطرأ عليها من الكفر بجَدْع الأنف ، ومعلوم أن كمالها محمود ، ونقصها مذموم ، فكيف تكون قبل النقص لا محمودة ولا مذمومة؟ واللّه أعلم.

---

(١) أي: لم يذهب من بدنها شيء. انظر: القاموس، مادة «جمع».

obeikandl.com

٤/٢٤٥ / **سُئِلَ عَن قَوله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة »** (١) **ما معناه؟ أراد فطرةَ الخلق أم فطرة الإسلام؟وفي قوله: « الشقي من شقى في بطن أمه»** (٢) **الحديث. هل ذلك خاص أو عام. وفي البهائم والوحوش هل يحييها اللّه يوم القيامة أم لا؟**

فأجـــاب:

الحمد للّه؛ أما قوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» : فالصواب أنها فطرة اللّه التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ**﴾ [الأعراف: ١٧٢] وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة ، والقبول للعقائد الصحيحة.

فإن حقيقة الإسلام أن يستسلم للّه، لا لغيره ، وهو معنى لا إله إلا اللّه، وقد ضرب رسول اللّه ﷺ مثل ذلك فقال: «كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟» (٣): بين أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن، وأن العيب حادث طارئ.

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : قال رسول اللّه ﷺ فيما يروي عن
٤/٢٤٦ اللّه: « إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت /عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»(٤) ؛ ولهذا ذهب الإمام أحمد ـ رضي اللّه عنه ـ في المشهور عنه : إلى أن الطفل متى مات أحد أبويه الكافرين حكم بإسلامه؛ لزوال الموجب للتغيير عن أصل الفطرة. وقد روى عنه، وعن ابن المبارك، وعنهما : أنهم قالوا: يولد على ما فطر عليه من شقاوة وسعادة. وهذا القول لا ينافى الأول، فإن الطفل يولد سليما، وقد علم اللّه أنه سيكفر، فلابد أن يصير إلى ما سبق له في أم الكتاب، كما تولد البهيمة جمعاء ، وقد علم اللّه أنها ستجدع.

وهذا معنى ما جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ قال: قال

---

(١) البخاري في الجنائز(١٣٥٨، ١٣٥٩)، وفي القدر (٦٥٩٩) ، ومسلم في القدر (٢٦٥٨/ ٢٢) ، وأبو داود في السنة (٤٧١٤)، ومالك في الموطأ في الجنائز ١/ ٢٤١ (٥٢)، وأحمد ٢/ ٢٣٣، ٢٧٥، ٣١٥.

(٢) مسلم فى القدر (٢٦٤٥ / ٣) من كلام ابن مسعود رضى الله عنه .

(٣) انظر: تخريج الحديث قبل السابق.

(٤) مسلم في الجنة (٢٨٦٥/ ٦٣).

رسول اللّه ﷺ في الغلام الذي قتله الخضر: «طبع يوم طبع كافراً، ولو ترك لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»[1] يعني: طبعه اللّه في أم الكتاب، أي: كتبه وأثبته كافراً، أي أنه إن عاش كفر بالفعل.

ولهذا لما سئل رسول اللّه ﷺ عمن يموت من أطفال المشركين وهو صغير قال: «اللّه أعلم بما كانوا عاملين»[2] أي: اللّه يعلم من يؤمن منهم ومن يكفر لو بلغوا، ثم إنه قد جاء في حديث إسناده مقارب عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة فإن اللّه يمتحنهم ويبعث إليهم رسولاً في عَرْصَة[3] القيامة، فمن أجابه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار» فهنالك يظهر فيهم ما علمه اللّه سبحانه، ويجزيهم على ما ظهر من العلم وهو إيمانهم وكفرهم، لا على مجرد العلم.

/ وهذا أجود ما قيل في أطفال المشركين، وعليه تتنزل جميع الأحاديث. ٤/٢٤٧

ومثل الفطرة مع الحق، مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس، والاعتقادات الباطلة العارضة من تهود وتنصر وتمجس، مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك أيضاً كل ذي حس سليم يحب الحلو، إلا أن يعرض في الطبيعة فساد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مراً.

ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإن اللّه أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً، ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق، الذي هو الإسلام، بحيث لو ترك من غير مغير، لما كان إلا مسلماً.

وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع، هي فطرة اللّه التي فطر الناس عليها.

وأما الحديث المذكور، فقد صح عن ابن مسعود أنه كان يقول: الشقي من شقى في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره. وفي الصحيحين عن عبد اللّه بن مسعود قال: حدثنا رسول اللّه ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين

---

(١) مسلم في القدر(٢٦٦١/ ٢٩)، وأبو داود في السنة (٤٧٠٥).

(٢) البخاري في القدر(٦٥٩٧)، ومسلم في القدر(٢٦٥٩/ ٢٦) وأبو داود في السنة (٤٧١١)، والنسائي في الجنائز(١٩٥٢)، وأحمد ٢/ ٢٤٤.

(٣) الْعَرْصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. انظر: القاموس، مادة «عرص».

٤/٢٤٨ يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، / ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه وأجله، وعمله وشقي أو سعيد. ثم ينفخ فيه الروح» (١).

وهذا عام في كل نفس منفوسة، قد علم اللّه ـ سبحانه بعلمه الذي هو صفة له ـ الشقي من عباده والسعيد ، وكتب ـ سبحانه ـ ذلك في اللوح المحفوظ، ويأمر الملك أن يكتب حال كل مولود ، ما بين خلق جسده ونفخ الروح فيه، إلى كتب أخرى يكتبها اللّه ليس هذا موضعها، ومن أنكر العلم القديم في ذلك فهو كافر.

وأما البهائم فجميعها يحشرها اللّه ـ سبحانه ـ كما دل عليه الكتاب والسنة . قال تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾[الأنعام:٣٨]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ**﴾ [التكوير: ٥] ، وقال تعالى : ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**﴾ [الشورى:٢٩] وحرف(إذا) إنما يكون لما يأتي لا محالة.

والأحاديث في ذلك مشهورة، فإن اللّه ـ عز وجل ـ يوم القيامة يحشر البهائم ويقتص لبعضها من بعض، ثم يقول لها: كوني تراباً، فتصير تراباً. فيقول الكافر حينئذ: ﴿**يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**﴾ [النبأ : ٤٠] . ومن قال: إنها لا تحيا فهو مخطئ في ذلك أقبح خطأ، بل هو ضال أو كافر، واللّه أعلم.

٤/٢٤٩ / وقال أيضاً ـ رحمه اللّه :

«كل مولود يولد على الفطرة» ، فإنه ـ سبحانه ـ فطر القلوب على أن ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن إليه، وتنتهي إليه إلا اللّه، وإلا فكل ما أحبه المحب يجد من نفسه أن قلبه يطلب سواه، ويحب أمراً غيره يتألهه ويصمد إليه، ويطمئن إليه ويرى ما يشبهه من أجناسه؛ ولهذا قال : ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨].

---

(١) سبق تخريجه ص ١٤٦ .

/ قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ـ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ : ٤/٢٥٠

فَصـــل

ذكر اللّه الحفظة الموكلين ببني آدم، الذين يحفظونهم ويكتبون أعمالهم ، في مواضع من كتابه ، قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ ، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾[الأنعام: ٦٠، ٦١] ، وقال تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١٠، ١١]، وقال تعالى : ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ . وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار :٩ـ١٢] .

وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ . إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[الطارق: ١ـ٤] ، وقال تعالى :﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ . مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ـ١٨] ،وقال تعالى : / ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ٤/٢٥١
وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] .

وقال تعالى :﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية : ٢٨ـ٢٩] ،وقال تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ(١) [يَا وَيْلَتَنَا] (٢) مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف :٤٩]، وقال تعالى:﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ . وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]،وقال تعالى. . .(٣).

---

(١) في المطبوعة :« وقالوا» والصواب ما أثبتناه.

(٢) سقطت من المطبوعة.

(٣) بياض بالأصل.

٤/٢٥٢ / سُئِلَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ :

هل الملائكة الموكلون بالعبد هم الموكلون دائما ، أم كل يوم ينزل اللّه إليه ملكين غير أولئك ؟ وهل هو موكل بالعبد ملائكة بالليل وملائكة بالنهار؟ وقوله عز وجل :﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١] ، فما معنى الآية؟

فأجَـابَ :

الحمد للّه، الملائكة أصناف، منهم من هو موكل بالعبد دائماً، ومنهم ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، فيسألهم ـ وهو أعلم بهم ـ كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون، ومنهم ملائكة فضل عن كتاب الناس يتبعون مجالس الذكر.

وأعمال العباد تجمع جملة وتفصيلاً، فترفع أعمال الليل قبل أعمال النهار، وأعمال النهار قبل أعمال الليل، تعرض الأعمال على اللّه في كل يوم اثنين وخميس ، فهذا كله مما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وأما أنه كل يوم تبدل عليه الملكان ، فهذا لم يبلغنا فيه شيء، واللّه أعلم.

/ **سُئِلَ عَنْ قَوْله ﷺ :«إذا هم العبد بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة » الحديث[1]. فإذا كان الهم سراً بين العبد وبين ربه فكيف تطلع الملائكة عليه؟** ٤/٢٥٣

فَأَجَـابَ :

الحمد للّه، قد روى **عن** سفيان بن عيينة في جواب هذه المسألة قال :إنه إذا هم بحسنة شم الملك رائحة طيبة، وإذا هم بسيئة شم رائحة خبيثة.

والتحقيق أن اللّه قادر أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء، كما هو قادر على أن يطلع بعض البشر على ما في الإنسان.

فإذا كان بعض البشر قد يجعل اللّه له من الكشف ما يعلم به أحياناً ما في قلب الإنسان ـ فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرفه اللّه ذلك .

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ [ق:١٦] أن المراد به: الملائكة ، واللّه قد جعل الملائكة تلقي في نفس العبد الخواطر ، كما قال عبد اللّه بن مسعود:« إن للملك لَمّةً، وللشيطان لمّةً، فَلمّة الملك تصديق بالحق ووعد / بالخير ، ولمة ٤/٢٥٤
الشيطان تكذيب بالحق وإيعاد بالشر»[2] . وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة، وقرينه من الجن». قالوا : وإياك يا رسول اللّه؟ قال: « وأنا، إلا أن اللّه قد أعانني عليه، فلا يأمرني إلا بخير»[3].

فالسيئة التي يهم بها العبد إذا كانت من إلقاء الشيطان، علم بها الشيطان.

والحسنة التي يهم بها العبد إذا كانت من إلقاء الملك،علم بها الملك أيضاً ،بطريق الأولى ، وإذا علم بها هذا الملك، أمكن علم الملائكة الحفظة لأعمال بني آدم.

---

(١) البخاري في الرقاق (٦٤٩١)، ومسلم في الإيمان (١٣١/٢٠٧)، وأحمد ١/٢٧٩، ٣١٠، كلهم عن ابن عباس.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٤ .

(٣) مسلم في صفات المنافقين (٦٩/٢٨١٤)، والدارمي في الرقاق ٢/٣٠٦، وأحمد ١/٣٨٥، ٣٩٧.

٤/٢٥٥ / سُئِلَ عَنْ عَرْضِ الأَدْيَانَ عَنْدَ الْمَوْتِ :

هل لذلك أصل في الكتاب والسنة أم لا ؟ وقوله ﷺ : «إنكم لتفتنون في قبوركم»(١) ما المراد بالفتنة ؟ وإذا ارتد العبد ـ والعياذ باللّه ـ هل يجازى بأعماله الصالحة قبل الردة أم لا ؟ أفتونا مأجورين.

فأجَــابَ :

الحمد للّه رب العالمين، أما عرض الأديان على العبد وقت الموت فليس هو أمراً عاماً لكل أحد ، ولا هو ـ أيضًا ـ منتفياً عن كل أحد ، بل من الناس من تعرض عليه الأديان قبل موته، ومنهم من لا تعرض عليه ، وقد وقع ذلك لأقوام. وهذا كله من فتنة المحيا والممات التي أمرنا أن نستعيذ منها في صلاتنا.

منها: ما في الحديث الصحيح: أمرنا النبي ﷺ أن نستعيذ في صلاتنا من أربع: من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال(٢). ولكن وقت الموت أحرص ما يكون الشيطان على إغواء بني آدم؛ لأنه وقت الحاجة.

٤/٢٥٦ / وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «الأعمال بخواتيمها»(٣)، وقال ﷺ : «إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة ،حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»(٤).

ولهذا روى: «أن الشيطان أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا ، فإنه إن فاتكم لن تظفروا به أبداً».

وحكاية عبد اللّه بن أحمد بن حنبل مع أبيه وهو يقول: لا،بعد. لا، بعد، مشهورة.

ولهذا يقال: إن من لم يحج يخاف عليه من ذلك ؛ لما روى أنس بن مالك ـ رضي

---

(١) البخاري في الجمعة (٩٢٢) وفي الكسوف (١٠٥٣)، ومسلم في المساجد (٥٨٤/١٢٣)، والنسائي في الجنائز (٢٠٦٤)، والدارمي في الصلاة ١/ ٣٥٩، وأحمد ٦/ ٨٩، ٢٣٨.

(٢) مسلم في المساجد (٥٨٨/ ١٣٠)، وأحمد ٢/ ٤٧٧، كلاهما عن أبي هريرة.

(٣) البخاري في الرقاق (٦٤٩٣)، وفي القدر(٦٦٠٧)، وأحمد ٥/ ٣٣٥.

(٤) البخارى فى القدر (٦٥٩٤) ومسلم فى القدر (٢٦٤٣ / ١) .

اللّه عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «من ملك زاداً أو راحلة تبلغه إلى بيت اللّه الحرام ولم يحج، فَلْيَمُتْ إن شاء يهودياً، وإن شاء نصرانياً»(١).

قال اللّه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] ، قال عكرمة لما نزلت هذه الآية : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. قالت اليهود والنصارى: نحن مسلمون. فقال اللّه لهم : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ فقالوا: لا نحجه. فقال الله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ .

/ وأما الفتنة في القبور فهي الامتحان والاختبار للميت، حين يسأله الملكان، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم «محمد»؟ فيثبت اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول المؤمن : اللّه ربي ، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، ويقول : هو محمد رسول اللّه ، جاءنا بالبينات والهدى، فآمنا به واتبعناه. فينتهرانه انتهارة شديدة ـ وهي آخر فتنة التي يفتن بها المؤمن ـ فيقولان له كما قالا أولا . ٤/٢٥٧

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب، وأنس بن مالك، وأبي هريرة وغيرهم ـ رضى اللّه عنهم ـ وهي عامة للمكلفين، إلا النبيين فقد اختلف فيهم. وكذلك اختلف في غير المكلفين، كالصبيان والمجانين، فقيل : لا يفتنون؛ لأن المحنة إنما تكون للمكلفين، وهذا قول القاضي وابن عَقِيل.

وعلى هذا فلا يُلَقَّنون بعد الموت. وقيل: يلقنون ويفتنون أيضاً ، و هذا قول أبي حكيم، وأبي الحسن بن عبدوس، ونقله عن أصحابه، وهو مطابق لقول من يقول: إنهم يكلفون يوم القيامة، كما هو قول أكثر أهل العلم، وأهل السنة، من أهل الحديث والكلام. وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري ـ رضي اللّه عنه ـ عن أهل السنة، واختاره، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد .

وأما الردة عن الإسلام بأن يصير الرجل كافراً مشركاً ، أو كتابياً ،/ فإنه إذا مات على ذلك حبط عمله باتفاق العلماء ، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع، كقوله: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]. ٤/٢٥٨

---

(١) الترمذي في الحج (٨١٢)، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وفي إسناده مقال».

ولكن تنازعوا فيما إذا ارتد، ثم عاد إلى الإسلام هل تحبط الأعمال التي عملها قبل الردة أم لا تحبط إلا إذا مات مرتداً؟ على قولين مشهورين، هما قولان في مذهب الإمام أحمد، والحبوط: مذهب أبي حنيفة ومالك. والوقوف: مذهب الشافعي .

وتنازع الناس ـ أيضاً ـ في المرتد . هل يقال :كان له إيمان صحيح يحبط بالردة؟ أم يقال : بل بالردة تبيَّنا أن إيمانه كان فاسدا؟ وأن الإيمان الصحيح لا يزول البتة؟ على قولين لطوائف الناس، وعلى ذلك يبنى قول المستثنى : أنا مؤمن ـ إن شاء اللّه. هل يعود الاستثناء إلى كمال الإيمان ؟ أو يعود إلى الموافاة في المآل، واللّه أعلم.

obeikandl.com

/ وسُئِلَ : ٤/٢٥٩

هَل جَمِيعُ الْخَلْقِ ـ حَتَّى الْمَلاَئِكَةِ ـ يَمُوتُونَ ؟

فأجاب :

الذي عليه أكثر الناس: أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة، وحتى عزرائيل ملك الموت، وروى في ذلك حديث مرفوع إلى النبي ﷺ . والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على إمكان ذلك وقدرة اللّه عليه، وإنما يخالف في ذلك طوائف من المتفلسفة ، أتباع أرسطو وأمثالهم ، ومن دخل معهم من المنتسبين إلى الإسلام، أو اليهود، والنصارى، كأصحاب «رسائل إخوان الصفا» وأمثالهم ممن زعم أن الملائكة هي العقول والنفوس، وأنه لا يمكن موتها بحال، بل هي عندهم آلهة وأرباب لهذا العالم.

والقرآن وسائر الكتب تنطق بأن الملائكة عبيد مدبرون، كما قال سبحانه: ﴿ **لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا** ﴾ [النساء : ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ** ﴾ [الأنبياء: ٢٦ـ ٢٨] ، وقال : ﴿ **وَكَم / مَّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ** ﴾ [النجم: ٢٦]. ٤/٢٦٠

واللّه ـ سبحانه ـ قادر على أن يميتهم ثم يحييهم، كما هو قادر على إماتة البشر والجن ثم إحيائهم. وقد قال سبحانه: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾ [الروم: ٢٧].

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ من غير وجه وعن غير واحد من الصحابة أنه قال: «إن اللّه إذا تكلم بالوحي أخذ الملائكة مثل الغَشْى[1]»، وفي رواية: «إذا سمعت الملائكة كلامه صُعِقوا»، وفي رواية: «سمعت الملائكة كجرِّ

(١) أي : الإغماء. انظر: المصباح المنير، مادة «غشى».

السلسلة على الصَّفْوَان فيصعقون فإذا فُزِّع عن قلوبهم» أي: أزيل الفزع عن قلوبهم «قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق. فينادون: الحق، الحق»[1]، فقد أخبر في هذه الأحاديث الصحيحة أنهم يُصْعَقُون صَعْق الغشي، فإذا جاز عليهم صعق الغشى جاز صعق الموت، وهؤلاء المتفلسفة لا يجوزون لا هذا ولا هذا، وصعق الغشى هو مثل صعق موسى ـ عليه السلام ـ قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا**﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والقرآن قد أخبر بثلاث نفخات:

نفخة الفزع ذكرها في سورة النمل في قوله: ﴿**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ**[2] **فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ**﴾ [النمل: ٨٧] .

٤/٢٦١ / ونفخة الصعق والقيام ذكرهما في قوله: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ [الزمر: ٦٨] .

وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين ، فإن الجنة ليس فيها موت، ومتناول لغيرهم. ولا يمكن الجزم بكل من استثناه اللّه، فإن اللّه أطلق في كتابه.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: « إن الناس يُصْعَقُون يوم القيامة فأكون أول من يُفيق فأجد موسى آخذاً بساق العرش، فلا أدرى هل أفاق قبلي أم كان ممن استثناه اللّه؟»[3]. وهذه الصعقة قد قيل: إنها رابعة، وقيل : إنها من المذكورات في القرآن.

وبكل حال : النبي ﷺ قد توقف في موسى، وهل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه اللّه أم لا ؟ فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من استثنى اللّه، لم يمكنا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة، وأعيان الأنبياء، وأمثال ذلك مما لم يخبر به، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر، واللّه أعلم ، وصلى اللّه على محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) البخاري في التوحيد (٧٤٨١) عن أبي هريرة، وأبو داود في السنة (٤٧٣٨)، عن ابن مسعود واللفظ لأبي داود. و «الصَّفْوان» :الحجر الأملس. انظر : القاموس ، مادة «صفو».

(٢) في المطبوعة : «ونفخ في الصور » والصواب ما أثبتناه.

(٣) البخاري في الخصومات (٢٤١١)، ومسلم في الفضائل (٢٣٧٣/ ١٦٠) عن أبي هريرة.

/ قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ تَقِي الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بن تَيْمِيَّة ـ رَحِمه اللَّه : ٤/٢٦٢

فصـــل

مذهب سائر المسلمين ـ بل وسائر أهل الملل ـ إثبات القيامة الكبرى، وقيام الناس من قبورهم ، والثواب والعقاب هناك، وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ ـ ما بين الموت إلى يوم القيامة ـ هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع.

لكن من أهل الكلام من يقول : هذا إنما يكون على البدن فقط، كأنه ليس عنده نفس تفارق البدن، كقول من يقول ذلك من المعتزلة والأشعرية.

ومنهم من يقول : بل هو على النفس فقط، بناء على أنه ليس في البرزخ عذاب على البدن ولا نعيم، كما يقول ذلك ابن ميسرة، وابن حزم.

/ ومنهم من يقول: بل البدن ينعم ويعذب بلا حياة فيه، كما قاله طائفة من أهل الحديث، وابن الزاغوني يميل إلى هذا في مصنفه في حياة الأنبياء في قبورهم، وقد بسط الكلام على هذا في مواضع. ٤/٢٦٣

والمقصود هنا أن كثيراً من أهل الكلام ينكر أن يكون للنفس وجود بعد الموت، ولا ثواب ولا عقاب، ويزعمون أنه لم يدل على ذلك القرآن والحديث، كما أن الذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ مطلقاً زعموا أنه لم يدل على ذلك القرآن، وهو غلط ، بل القرآن قد بين في غير موضع بقاء النفس بعد فراق البدن، وبين النعيم والعذاب في البرزخ.

وهو ـ سبحانه ـ وتعالى في السورة الواحدة يذكر« القيامة الكبرى» و«الصغرى» كما في سورة الواقعة، فإنه ذكر في أولها القيامة الكبرى،وأن الناس يكونون أزواجاً ثلاثة، كما قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ . خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ . إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا . وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا . وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ [الواقعة: ١-٧].

ثم إنه في آخرها ذكر القيامة الصغرى بالموت،وأنهم ثلاثة أصناف بعد الموت،

فقال: ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ . وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ . فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ. وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ./ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٤]، ٤/٢٦٤
فهذا فيه أن النفس تبلغ الحلقوم وأنهم لا يمكنهم رجعها، وبين حال المقربين وأصحاب اليمين والمكذبين حينئذ.

وفي سورة القيامة : ذكر أيضاً القيامتين فقال: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١] ثم قال: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ٢] وهي نفس الإنسان.

وقد قيل: إن النفس تكون لوامة، وغير لوامة ،وليس كذلك، بل نفس كل إنسان لوامة، فإنه ليس بشر إلا يلوم نفسه ويندم إما في الدنيا ،وإما في الآخرة، فهذا إثبات النفس . ثم ذكر معاد البدن فقال: ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ . بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ .يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾ [القيامة: ٣-٦] ووصف حال القيامة إلى قوله: ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٥] .

ثم ذكر الموت فقال: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦] وهذا إثبات للنفس وأنها تبلغ التراقى كما قال هناك: ﴿ بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾ [الواقعة: ٨٣] . والتراقي متصلة بالحلقوم.

ثم قال: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧] يرقيها ، وقيل : من صاعد يصعد بها إلى اللّه، والأول أظهر؛ لأن هذا قبل الموت، فإنه قال: ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ [القيامة: ٢٨] فدل على أنهم يرجونه ويطلبون له راقياً يرقيه، وأيضاً فصعودها لا يفتقر إلى طلب من يرقى بها، فإن للّه ملائكة يفعلون ما يؤمرون، والرقية أعظم الأدوية فإنها دواء / روحاني؛ولهذا قال النبي ﷺ في صفة المتوكلين: «لا يسترقون»[1]. والمراد ٤/٢٦٥
أنه يخاف الموت، ويرجو الحياة بالراقي؛ ولهذا قال : ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ .

ثم قال : ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة ٢٩ ، ٣٠] فدل على نفس موجودة قائمة بنفسها تساق إلى ربها، والعرض القائم بغيره لا يساق، ولا بدن الميت، فهذا نص في إثبات نفس تفارق البدن تساق إلى ربها ، كما نطقت بذلك الأحاديث المستفيضة في قبض روح المؤمن وروح الكافر.

---

(١) مسلم فى الإيمان (٢١٨ / ٣٧١) .

ثم ذكر بعد هذا صفة الكافر بقوله مع هذا الوعيد الذي قدمه: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ [القيامة: ٣١] وليس المراد أن كل نفس من هذه النفوس كذلك.

وكذلك سورة «ق» هي في ذكر وعيد القيامة، ومع هذا قال فيها: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق: ١٩]، ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ [ق: ٢٠]، فذكر القيامتين: الصغرى والكبرى، وقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ أي: جاءت بما بعد الموت من ثواب وعقاب، وهو الحق الذي أخبرت به الرسل، ليس مراده أنها جاءت بالحق الذي هو الموت؛ فإن هذا مشهور لم ينازع فيه، ولم يقل أحد: إن الموت باطل حتى يقال: جاءت بالحق.

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، فالإنسان وإن كره الموت فهو يعلم أنه تلاقيه ملائكته، وهذا كقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] واليقين: / ما بعد ٤/٢٦٦
الموت، كما قال النبي ﷺ: « أما عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه»[1]، وإلا فنفس الموت ـ مجرد عما بعده ـ أمر مشهور لم ينازع فيه أحد حتى يسمى يقيناً.

وذكر عذاب القيامة والبرزخ معاً في غير موضع؛ ذكره في قصة آل فرعون فقال: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ . النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[غافر: ٤٥، ٤٦]، وقال في قصة نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥] مع إخبار نوح لهم بالقيامة في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

وقد ذكرنا ـ في غير موضع ـ أن الرسل قبل محمد أنذروا بالقيامة الكبرى تكذيباً لمن نفى ذلك من المتفلسفة، وقال عن المنافقين: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة: ١٠١]. قال غير واحد من العلماء: المرة الأولى في الدنيا، والثانية في البرزخ ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ في الآخرة.

وقال تعالى في الأنعام: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ . وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٣، ٩٤] ، وهذه صفة حال الموت وقوله: / ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ ٤/٢٦٧

(١) البخاري في الجنائز (١٢٤٣)، وفي مناقب الأنصار (٣٩٢٩)، وأحمد ٦/٤٣٦.

دل على وجود النفس التي تخرج من البدن، وقوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ دل على وقوع الجزاء عقب الموت.

وقال تعالى في الأنفال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ . ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١] وهذا ذوق له بعد الموت.

وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه، أن النبي ﷺ لما أتى المشركين يوم بدر في القليب ناداهم: «يا فلان، يا فلان، هل وجدتم ما وعد ربكم حقّا؟ فقد وجدت ما وعدني ربي حقا»(١). وهذا دليل على وجودهم وسماعهم، وأنهم وجدوا ما وعدوه بعد الموت من العذاب، وأما نفس قتلهم فقد علمه الأحياء منهم.

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]، وهذا خطاب لهم إذا توفتهم الملائكة، وهم لا يعاينون الملائكة إلا وقد يئسوا من الدنيا، ومعلوم أن البدن لم يتكلم لسانه، بل هو شاهد، يعلم أن الذي يخاطب الملائكة هو النفس، والمخاطب لا يكون عرضاً.

٤/٢٦٨ وقال تعالى في النحل: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ / مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٨، ٢٩]. وهذا إلقاء للسلم إلى حين الموت، وقولٌ للملائكة: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ وهذا إنما يكون من النفس.

وقد قال في النحل: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقال في السجدة (٢): ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١]، وقد ذكروا أن هذا التنزل عند الموت.

وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ

---

(١) البخاري في المغازي (٣٩٧٦)، ومسلم في الجنة (٢٨٧٣/ ٧٦).

والقليب: البئر قبل أن تبنى بالحجارة ونحوها. انظر: مختار الصحاح، مادة «قلب».

(٢) من أسماء سورة فصلت: «حم. السجدة».

خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١] ، وقال قبل ذلك في سورة البقرة : ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

وأيضاً، فقال تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] ، وهذا / بيان لكون ٤/٢٦٩
النفس تقبض وقت الموت، ثم منها ما يمسك فلا يرسل إلى بدنه، وهو الذي قضى عليه الموت، ومنها ما يرسل إلى أجل مسمى، وهذا إنما يكون في شيء يقوم بنفسه، لا في عَرَض قائم بغيره، فهو بيان لوجود النفس المفارقة بالموت.

والأحاديث الصحيحة توافق هذا ، كقول النبي ﷺ : «باسمك ربي وَضَعْتُ جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكتَ نَفْسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»(١). وقال ـ لما ناموا عن صلاة الصبح : «إن اللّه قبض أرواحنا حيث شاء»(٢).

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ . ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٠-٦٢] ، فهذا تَوَفٍّ لها بالنوم إلى أجل الموت الذي ترجع فيه إلى اللّه، وإخبار أن الملائكة تتوفاها بالموت ثم يردون إلى اللّه، والبدن وما يقوم به من الأعراض لا يرد ، إنما يرد الروح.

وهو مثل قوله في يونس: ﴿وَرُدُّوا (٣) إِلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٣٠] ،وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [العلق: ٨]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ / رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] ، وقال تعالى: ٤/٢٧٠
﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، وتَوفى الملك إنما يكون لما هو موجود قائم بنفسه، وإلا فالعَرَض القائم بغيره لا يتوفى، فالحياة القائمة بالبدن لا تتوفى، بل تزول وتعدم كما تعدم حركته وإدراكه.

---

(١) البخارى فى التوحيد (٧٣٩٣) ، وأبو داود في الأدب (٥٠٥٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤٠١).

(٢) البخارى فى المواقيت (٥٩٥) .

(٣) في المطبوعة: « ثم ردوا» والصواب ما أثبتناه.

وقال تعالى في المؤمنين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] ، فقوله: ﴿ارْجِعُونِ﴾ طلب لرجع النفس إلى البدن ، كما قال في الواقعة : ﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦، ٨٧]، وهو يبين أن النفس موجودة تفارق البدن بالموت ،قال تعالى: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] . آخره .

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

obeikandl.com

/ **سُئلَ شَيْخُ الإسْلاَم ـ رَحمَهُ اللَّه ـ عن «الروح المؤمنة» أن الملائكة تتلقاها وتصعد بها إلى السماء التي فيها الله.** ٤/٢٧١

فأَجَـابَ :

أما الحديث المذكور في «قبض روح المؤمن، وأنه يصعد بها إلى السماء التي فيها اللّه» (١): فهذا حديث معروف جيد الإسناد، وقوله: «فيها اللّه» بمنزلة قوله تعالى: ﴿**أَأَمنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ**﴾ [الملك: ١٦، ١٧]، وبمنزلة ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال لجارية معاوية بن الحكم: «أين اللّه؟»، قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول اللّه. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»(٢).

وليس المراد بذلك أن السماء تحصر الرب وتحويه، كما تحوي الشمس والقمر وغيرهما، فإن هذا لا يقوله مسلم، ولا يعتقده عاقل، فقد قال ـ سبحانه وتعالى : ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾[البقرة: ٢٥٥]، والسموات في الكرسي كحلقة ملقاة في أرض فَلاة (٣)، والكرسي في العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والرب / ـ سبحانه ـ فوق سمواته، على عرشه، بائن من خلقه؛ ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته. ٤/٢٧٢

وقال تعالى: ﴿**وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾ [طه: ٧١]، وقال: ﴿**فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ**﴾ [التوبة: ٢]، وقال: ﴿**يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ**﴾ [المائدة: ٢٦] وليس المراد أنهم في جوف النخل، وجوف الأرض، بل معنى ذلك أنه فوق السموات، وعليها، بائن من المخلوقات، كما أخبر في كتابه عن نفسه أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش.

وقال: ﴿**يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿**تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**﴾ [المعارج: ٤]، وقال: ﴿**بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ [النساء: ١٥٨]، وأمثال ذلك في الكتاب والسنة وجواب هذه المسألة مبسوط في غير هذا الموضع.

---

(١) ابن ماجه في الزهد (٤٢٦٢).

(٢) سبق تخريجه ص ٤١ .

(٣) الفَلاة: الأرض لا ماء فيها. انظر: المصباح المنير، مادة «فلو».

obeikandi.com

٤/٢٧٣ / سُئِلَ :

هَلْ يَتَكَلَّمُ الْمَيتُ فِى قَبْرِهِ؟

فقـــال :

وأما سؤال السائل: هل يتكلم الميت في قبره، فجوابه : أنه يتكلم، وقد يسمع ـ أيضاً ـ من كلمه، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنهم يسمعون قَرْع نعالهم»(١) ،وثبت عنه في الصحيح أن الميت يسأل في قبره، فيقال له : من ربك، وما دينك، ومن نبيك، فيثبت اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: اللّه ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، ويقال له : ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول المؤمن: هو عبد اللّه ورسوله، جاءنا بالبينات والهدى ، فآمنا به واتبعناه(٢)، وهذا تأويل قوله تعالى : ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

وقد صح عن النبي ﷺ أنها نزلت في عذاب القبر، وكذلك يتكلم المنافق فيقول: آه، آه، لا أدرى ! سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته؛ فيضرب بِمِرْزَبَةٍ من حديد ، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان(٣).

وثبت عنه في الصحيح أنه قال: «لولا ألا تدافنوا، لسألت اللّه أن يسمعكم عذاب القبر مثل الذي أسمع» (٤) ، وثبت عنه في الصحيح أنه نادى المشركين يوم بدر، لما ألقاهم في القَليب، وقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» (٥). والآثار في هذا كثيرة منتشرة، واللّه أعلم.

---

(١) مسلم في الجنة (٢٨٧٠/ ٧٠) ، والنسائي في الجنائز (٢٠٤٩ ، ٢٠٥٠)، وأبو داود في السنة (٤٧٥٢)، وأحمد ٣/١٢٦، كلهم عن أنس بن مالك.

(٢) مسلم فى الجنة (٢٨٧١ / ٧٣) .

(٣) البخارى فى الجنائز (١٣٦٩) .

(٤) مسلم في الجنة (٢٨٦٨/ ٦٨) ، والنسائي في الجنائز (٢٠٥٨)، وأحمد ٣/ ١٠٣، ١١١، ١١٤، كلهم عن أنس .

(٥) مسلم فى الجنة (٢٨٧٤ / ٧٧) .

/ سُئلَ شَيْخُ الإسْلاَم ـ رَحمهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ عن سؤال منكر ونكير الميت إذا مات؛ تدخل الروح في جسده ويجلس ويجاوب منكراً ونكيراً ، فيحتاح موتًا ثانياً؟ ٤/٢٧٤

فَأَجَــابَ :

عود الروح إلى بدن الميت في القبر ليس مثل عودها إليه في هذه الحياة الدنيا، وإن كان ذاك قد يكون أكمل من بعض الوجوه، كما أن النشأة الأخرى ليست مثل هذه النشأة، وإن كانت أكمل منها، بل كل موطن في هذه الدار وفي البرزخ والقيامة له حكم يخصه؛ ولهذا أخبر النبي ﷺ: أن الميت يُوسَّع له في قبره[1] ويُسأل ونحو ذلك، وإن كان التراب قد لا يتغير فالأرواح تعاد إلى بدن الميت وتفارقه.

وهل يسمى ذلك موتاً؟ فيه قولان:

قيل :يسمى ذلك موتاً، وتأولوا على ذلك قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر:١١] : قيل إن الحياة الأولى في هذه الدار، والحياة الثانية في القبر.
/ والموتة الثانية في القبر، والصحيح أن هذه الآية كقوله : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[البقرة:٢٨]، فالموتة الأولى قبل هذه الحياة، والموتة الثانية بعد هذه الحياة. وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد الموت. قال تعالى : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه :٥٥]، وقال: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾[الأعراف:٢٥]، فالروح تتصل بالبدن متى شاء اللّه تعالى ، وتفارقه متى شاء اللّه تعالى ، لا يتوقت ذلك بمرة ولا مرتين، والنوم أخو الموت. ٤/٢٧٥

ولهذا كان النبي ﷺ يقول إذا أوى إلى فراشه: «باسمك اللّهم أموت وأحيا»، وكان إذا استيقظ يقول :« الحمد للّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[2]، فقد سمى النوم موتًا، والاستيقاظ حياة.

وقد قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي

---

(١) الترمذي في صفة القيامة (٢٤٦٠) وقال : « غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ».

(٢) البخاري في الدعوات (٦٣١٢، ٦٣١٤)، ومسلم في الذكر (٥٩/٢٧١١) ، وأبو داود في الأدب (٥٠٤٩)، والترمذي في الدعوات (٣٤١٧) ، وأحمد ٤/ ٢٩٤، ٣٠٢.

obeikandl.com

قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] ، فبين أنه يتوفى الأنفس على نوعين: فيتوفاها حين الموت، ويتوفى الأنفس التي لم تمت بالنوم، ثم إذا ناموا فمن مات في منامه أمسك نفسه، ومن لم يمت أرسل نفسه.

ولهذا كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: « باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» (١).

٤/٢٧٦ والنائم يحصل له في منامه لذة وألم، وذلك يحصل للروح والبدن، حتى / إنه يحصل له في منامه من يضربه، فيصبح والوجع في بدنه، ويرى في منامه أنه أطعم شيئًا طيبًا، فيصبح وطعمه في فمه وهذا موجود . فإذا كان النائم يحصل لروحه وبدنه من النعيم والعذاب ما يحس به ـ والذي إلى جنبه لا يحس به ـ حتى قد يصيح النائم من شدة الألم، أو الفزع الذي يحصل له ويسمع اليقظان صياحه، وقد يتكلم إما بقرآن، وإما بذكر، وإما بجواب.

واليقظان يسمع ذلك وهو نائم، عينه مغمضة ، ولو خوطب لم يسمع ـ فكيف ينكر حال المقبور الذي أخبر الرسول ﷺ أنه يسمع قرع نعالهم، وقال : «ما أنتم أسمع لما أقول منهم» (٢).

والقلب يشبه القبر؛ ولهذا قال ﷺ ـ لما فاتته صلاة العصر يوم الخندق : «ملأ اللّه أجوافهم وقبورهم ناراً » (٣)، وفي لفظ :« قلوبهم وقبورهم ناراً» وفرق بينهما في قوله: ﴿ بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [العاديات: ٩، ١٠] .

وهذا تقريب و تقرير لإمكان ذلك .

ولا يجوز أن يقال: ذلك الذي يجده الميت من النعيم والعذاب، مثلما ـ يجده النائم في منامه، بل ذلك النعيم والعذاب أكمل وأبلغ وأتم وهو نعيم حقيقي وعذاب حقيقي، ولكن يذكر هذا المثل لبيان إمكان ذلك، إذا قال السائل: الميت لا يتحرك في قبره، والتراب لا يتغير، ونحو ذلك، مع أن هذه المسألة لها بسط يطول، وشرح لا تحتمله هذه الورقة، واللّه أعلم. وصلى اللّه على محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) البخارى فى التوحيد (٧٣٩٣) .

(٢) سبق تخريجه ص ١٦٨ .

(٣) البخاري في المغازي (٤١١١)، ومسلم في المساجد (٦٢٧/ ٢٠٢، ٦٢٨/ ٢٠٦)، وأبو داود في الصلاة (٤٠٩)، والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٨٤) ، وابن ماجه في الصلاة (٦٨٤، ٦٨٦)، وأحمد ١/ ٧٩، ٨٢، ١١٣، ١٢٢.

/ وَسُئِلَ عن الصغير، وعن الطفل إذا مات : هل يمتحن ؟ إلخ ٤/٢٧٧

...[1]الوقوف فيهم وأن يقال : اللّه أعلم بما كانوا عاملين، ولبسطه موضع آخر.

وإذا مات الطفل فهل يمتحن في قبره ويسأله منكر ونكير؟ فيه قولان في مذهب أحمد وغيره:

أحدهما: أنه لا يمتحن، وأن المحنة إنما تكون على من كلف في الدنيا ، قاله طائفة: منهم القاضي أبو يعلى وابن عقيل.

والثاني: أنهم يمتحنون، ذكره أبوحكيم الهمداني، وأبو الحسن ابن عبدوس ، ونقله عن أصحاب الشافعي. وعلى هذا التفصيل تلقين الصغير والمجنون: من قال إنه يمتحن في القبر، لقنه. ومن قال: لا يمتحن، لم يلقنه. وقد روى مالك وغيره عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ أنه ﷺ صلى على طفل، فقال: «اللّهم قه عذاب القبر وفتنة القبر»[2]، وهذا القول موافق لقول من قال : إنهم يمتحنون في الآخرة، وإنهم مكلفون يوم القيامة، كما هو قول أكثر أهل العلم / وأهل السنة من أهل ٤/٢٧٨
الحديث والكلام، وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة واختاره، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد، واللّه أعلم.

وإذا دخل أطفال المؤمنين الجنة فأرواحهم وأرواح غيرهم من المؤمنين في الجنة، وإن كانت درجاتهم متفاضلة، والصغار يتفاضلون بتفاضل آبائهم، وتفاضل أعمالهم إذا كانت لهم أعمال ـ فإن إبراهيم ابن النبي ﷺ ليس هو كغيره، والأطفال الصغار يثابون على ما يفعلونه من الحسنات، وإن كان القلم مرفوعاً عنهم في السيئات؛ كما ثبت في الصحيح : أن النبي ﷺ رُفعتْ إليه امرأة صبيًا من مِحَفَّة فقالت: ألهذا حج؟ قال : « نعم. ولك أجر». رواه مسلم في صحيحه[3].

وفي السنن أنه قال :« مُرُوهم بالصلاة لسَبع، واضربوهم عليها لعَشْرٍ، وفَرِّقوا بينهم في المضاجع»[4]. وكانوا يُصَوِّمون الصغار يوم عاشوراء وغيره ، فالصبي يثاب

---

(١) سقط أول الجواب .

(٢) مالك في الموطأ في الجنائز ١/٢٢٨ (١٨) موقوفًا على أبي هريرة.

(٣) مسلم في الحج (١٣٣٦/ ٤٠٩-٤١١).

و«المِحَفَّة»: مركب من مراكب النساء كالهودج، إلا أنها لا تُقَبَّب كما تُقَبَّب الهوادج. انظر: مختار الصحاح، مادة «حفف».

(٤) أبو داود في الصلاة (٤٩٥)، والترمذي في أبواب الصلاة (٤٠٧) وقال : « حسن صحيح »، وأحمد ٢/ ١٨٠، ١٨٧.

على صلاته وصومه، وحجه وغير ذلك من أعماله، ويفضل بذلك على من لم يعمل كعمله، وهذا غير ما يفعل به إكراماً لأبويه، كما أنه في النعم الدنيوية قد ينتفع بما يكسبه وبما يعطيه أبواه، ويتميز بذلك على من ليس كذلك .

وأرواح المؤمنين في الجنة ، كما جاءت بذلك الآثار، وهو كما قال النبي ﷺ : «نسمة المؤمن تَعْلُقُ من الجنة»[1] أي: تأكل، ولم يوقت في ذلك وقت قبل يوم القيامة.

٤/٢٧٩ / والأرواح مخلوقة بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى ، ولكن موتها مفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان.

وأهل الجنة الذين يدخلونها على صورة أبيهم آدم ـ عليه السلام ـ طول أحدهم ستون ذراعاً، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة .

وقد قال بعض الناس: إن أطفال الكفار يكونون خدم أهل الجنة، ولا أصل لهذا القول.

وقد ثبت في الصحيحين أن الجنة يبقى فيها فضل عن أهل الدنيا، فينشئ اللّه لها خلقاً آخر فيسكنهم الجنة، فإذا كان يسكن من ينشئه من الجنة من غير ولد آدم في فضول الجنة، فكيف بمن دخلها من ولد آدم وأسكن في غير فضولها؟ فليسوا أحق بأن يكونوا من أهل الجنة، ممن ينشأ بعد ذلك ويسكن فضولها.

وأما الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا**﴾ [مريم: ٧١] فقد فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح، رواه مسلم في صحيحه عن جابر :«بأنه المرور على الصراط»[2]، والصراط هو الجسر، فلابد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة، من كان صغيراً في الدنيا ومن لم يكن.

والولدان ـ الذين يطوفون على أهل الجنة ـ خلق من خلق الجنة، ليسوا من أبناء الدنيا، بل أبناء أهل الدنيا إذا دخلوا الجنة كمل خلقهم كأهل الجنة، على صورة آدم، أبناء ثلاث وثلاثين في طول ستين ذراعاً، كما تقدم . وقد روى أن العرض سبعة أذرع ، واللّه أعلم.

---

(١) النسائى فى الجنائز (٤٢٧١) .

(٢) مسلم في الإيمان (١٩١/ ٣٢٠).

/ **سُئِلَ الشَّيْخُ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن الصغير هل يحيا ويسأل أو يحيا ولا يسأل؟ وبماذا يسأل عنه؟ وهل يستوَى في الحياة والسؤال من يكلف ومن لا يكلف؟** ٤/٢٨٠

فَأَجَـابَ :

الحمد للّه رب العالمين، أما من ليس مكلفاً كالصغير والمجنون، فهل يمتحن في قبره ويسأله منكر ونكير ؟ على قولين للعلماء:

أحدهما: أنه يمتحن وهو قول أكثر أهل السنة، ذكره أبو الحسن ابن عبدوس عنهم، وذكره أبو حكيم النهرواني وغيرهما.

والثاني:أنه لا يمتحن في قبره،كما ذكره القاضي أبو يعلى،وابن عقيل وغيرهما. قالوا: لأن المحنة إنما تكون لمن يكلف في الدنيا.

ومن قال بالأول ، يستدل بما في الموطأ عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ أنه ﷺ صلى على صغير لم يعمل خطيئة قط، فقال:«اللّهم قه عذاب القبر وفتنة القبر».(١) وهذا يدل على أنه يفتن.

/ وأيضاً، فهذا مبني على أن أطفال الكفار ـ الذين لم يكلفوا في الدنيا ـ يكلفون في الآخرة، كما وردت بذلك أحاديث متعددة، وهو القول الذي حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة، فإن النصوص عن الأئمة كالإمام أحمد وغيره: الوقف في أطفال المشركين ، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سئل عنهم فقال:« اللّه أعلم بما كانوا عاملين»(٢). ٤/٢٨١

وثبت في صحيح البخاري من حديث سَمُرَة أن منهم من يدخل الجنة. وثبت في صحيح مسلم أن الغلام الذي قتله الخضر طُبِع يوم طُبِع كافراً (٣) ؛ فإن كان الأطفال وغيرهم فيهم شقي وسعيد ، فإذا كان ذلك لامتحانهم في الدنيا لم يمنع امتحانهم في القبور،لكن هذا مبني على أنه لا يشهد لكل مُعَيَّن من أطفال المؤمنين بأنه في الجنة، وإن شهد لهم مطلقاً، ولو شهد لهم مطلقًا. فالطفل الذي ولد بين المسلمين قد يكون منافقاً بين مؤمنين، واللّه أعلم.

---

(١) سبق تخريجه ص ١٧١ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٥١ .

(٣) مسلم في القدر (٢٦٦١ / ٢٩) .

/ سُئِلَ شَيْخ الإسْلام ـ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَه ـ وهو بمصر عن «عذاب القبر» : ٤/٢٨٢
هل هو عَلى النَّفس والبَدن أو على النفس دون البدن؟ والميت يعذب في قبره حياً أم ميتاً؟ وإن عادت الروح إلى الجسد أم لم تَعُدْ، فهل يتشاركان في العذاب والنعيم؟ أو يكون ذلك على أحدهما دون الآخر؟

فأَجَابَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وجعل جنة الفردوس منقلبه ومثواه آمين:

الحمد للّه رب العالمين. بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتين، كما يكون للروح منفردة عن البدن.

وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟

هذا فيه قولان مشهوران / لأهل الحديث والسنة والكلام، وفي المسألة أقوال ٤/٢٨٣
شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث، قول من يقول : إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح؛ وأن البدن لا ينعم ولا يعذب. وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين.

ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، الذين يقولون: لا يكون ذلك في البرزخ، وإنما يكون عند القيام من القبور.

وقول من يقول: إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب ، وإنما الروح هي الحياة، وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام، من المعتزلة ، وأصحاب أبي الحسن الأشعري، كالقاضي أبي بكر ، وغيرهم، وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وهذا قول باطل ، خالفه الأستاذ أبو المعالي الجُوَيْني وغيره، بل قد ثبت في الكتاب والسنة، واتفاق سلف الأمة، أن الروح تبقى بعد فراق البدن ، وأنها منعمة أو معذبة.

والفلاسفة الإلهيون يقولون بهذا، لكن ينكرون مَعَاد الأبدان، وهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان، لكن ينكرون معاد الأرواح،ونعيمها وعذابها بدون الأبدان، وكلا القولين خطأ وضلال، لكن قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الإسلام،وإن كان قد

obeikandl.com

يوافقهم عليه من يعتقد أنه متمسك بدين الإسلام، بل من يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف، والتحقيق والكلام.

٤/٢٨٤ / **والقول الثالث الشاذ** : قول من يقول: إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب، بل لا يكون ذلك حتى تقوم القيامة الكبرى، كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة، ونحوهم، الذين ينكرون عذاب القبر ونعيمه، بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب.

فجميع هؤلاء الطائفتين ضلال في أمر البرزخ، لكنهم خير من الفلاسفة؛ لأنهم يقرون بالقيامة الكبرى.

فإذا عرفت هذه الأقوال الثلاثة الباطلة، فاعلم[1] أن مذهب سلف الأمة وأئمتها: أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ، فيحصل له معها النعيم والعذاب.

ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها، وقاموا من قبورهم لرب العالمين.

ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين، واليهود ، والنصارى. وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنة.

وهل يكون للبدن دون الروح نعيم أو عذاب؟ أثبت ذلك طائفة منهم، وأنكره أكثرهم.

٤/٢٨٥ / ونحن نذكر ما يبين ما ذكرناه. فأما أحاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير: فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ، مثل ما في الصحيحين : عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ أن النبي ﷺ مرَّ بقبرين فقال: «إنهما لَيُعَذَّبان وما يُعَذَّبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنَّميمة، وأما الآخر فكان لا يَسْتَتِر من بَوْله»، ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة. فقالوا :يا رسول اللّه، لم فعلتَ هذا؟ قال: «لعله يُخفَّف عنهما ما لم ييبسَا»[2].

---

(١) في المطبوعة :« فاليعلم» وهو خطأ.

(٢) البخاري في الوضوء (٢١٦) ، وفي الجنائز (١٣٧٨)، ومسلم في الطهارة (٢٩٢/ ١١١) ،وأبو داود في الطهارة (٢٠)،والترمذي في الطهارة (٧٠) ، والنسائي في الطهارة (٣١)، وابن ماجه في الطهارة (٣٤٧)، وأحمد ١/ ٢٢٥.

وفي صحيح مسلم عن زيد بن ثابت قال : بينا رسول اللّه ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة ـ ونحن معه ـ إذ جالت به، فكادت تلقيه، فإذا أقبر ستة أو خمسة، أو أربعة. فقال: «من يعرف هذه القبور؟» فقال رجل: أنا. قال: «فمتى هؤلاء؟» قال: ماتوا في الإشراك. فقال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها؛ فلولا ألا تدافنوا لدعوت اللّه أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «تَعوَّذوا باللّه من عذَاب القبر». قالوا: نعوذ باللّه من عذاب القبر. قال: «تعوذوا باللّه من عذاب النار». قالوا: نعوذ باللّه من عذاب النار. قال : «تعوذوا باللّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن». قالوا: نعوذ باللّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: «تعوذوا باللّه من فتنة الدجال». قالوا: نعوذ باللّه من فتنة الدجال(١).

٤/٢٨٦ وفي صحيح مسلم وسائر السنن عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ أن النبي/ ﷺ قال: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليقل : أعوذ باللّه من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»(٢).

وفي صحيح مسلم وغيره عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن :«اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»(٣).

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري قال: خرج النبي ﷺ وقد وجَبَت الشمس، فقال:«يهود يعذبون في قبورهم» (٤).

وفي الصحيحين عن عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ قالت : دخلت عليّ عجوز من عجائز يهود المدينة ، فقالت: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم . قالت : فكذبتها ولم أُنْعِمْ أن أصدقها ، قالت: فخرجت فدخل عليَّ رسول اللّه ﷺ ،فقلت : يا رسول اللّه ، عجوز من عجائز أهل المدينة دخلت عليّ،فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم.فقال: «صَدَقَتْ، إنهم يعذبون عذابًا يسمعه البهائم كلها» ، فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر(٥).

---

(١) مسلم فى الجنة (٢٨٦٧ / ٦٧) .

(٢) مسلم فى المساجد (٥٨٨ / ١٣٠) ، وابن ماجه فى الإقامة (٩٠٩) .

(٣) مسلم في المساجد (٥٩٠/ ١٣٤).

(٤) البخاري في الجنائز (١٣٧٥) ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٦٩/ ٦٩).

و«وجَبَت الشمس» : أي غابت . انظر: القاموس المحيط، مادة «وجب».

(٥) البخاري في الدعوات (٦٣٦٦)، ومسلم في المساجد (٥٨٦/ ١٢٥).

وقولها:« ولم أُنْعِمْ» :أى لم تقرّ عيناي وتفرح. انظر: القاموس المحيط، مادة « نعم».

وفي صحيح أبي حاتم البستي عن أم مُبَشِّر ـ رضي اللّه عنها ـ قالت: دخل على رسول اللّه ﷺ وأنا في حائط وهو يقول: «تعوذوا باللّه من عذاب/القبر». فقلت: يا ٤/٢٨٧
رسول اللّه، للقبر عذاب؟ فقال: « إنهم ليعذبون في قبورهم عذاباً تسمعه البهائم»(١).

قال بعضهم: ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مغلت(٢) إلى قبور اليهود، والنصارى والمنافقين، كالإسماعيلية والنصيرية، وسائر القرامطة: من بني عبيد وغيرهم، الذين بأرض مصر والشام وغيرهما؛ فإن أهل الخيل يقصدون قبورهم لذلك، كما يقصدون قبور اليهود والنصارى، والجهال تظن أنهم من ذرية فاطمة، وأنهم من أولياء اللّه، وإنما هو من هذا القبيل. فقد قيل: إن الخيل إذا سمعت عذاب القبر حصلت لها من الحرارة ما يذهب بالمغل. والحديث في هذا كثير لا يتسع له هذا السؤال.

وأحاديث المسألة كثيرة أيضاً، كما في الصحيحين والسنن عن البراء بن عازب ـ رضي اللّه عنه ـ أن رسول اللّه ﷺ قال: « المسلم إذا سئل في قبره شهد أن لا إله إلا اللّه، وأن محمداً رسول اللّه ؛ فذلك قول اللّه تعالى :﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم:٢٧]. وفي لفظ: «نزلت في عذاب القبر يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي اللّه، وديني الإسلام، ونبيي محمد، وذلك قول اللّه تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم:٢٧]» (٣).

وهذا الحديث قد رواه أهل السنن والمسانيد مطولاً، كما في سنن أبي داود /وغيره عن ٤/٢٨٨
البراء بن عازب ـ رضي اللّه عنه ـ قال : خرجنا مع رسول اللّه ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس النبي ﷺ وجلسنا حوله، كأنما على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به الأرض، فرفع رأسه فقال: «استعيذوا باللّه من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثا، وذكر صفة قبض الروح وعروجها إلى السماء ، ثم عودها إليه. إلى أن قال :«وإنه ليسمع خَفْقَ نعالهم إذا وَلَّوا مدبرين حين يقال له: يا هذا ، من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك ؟ » (٤) .

وفي لفظ: «فيأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له:من ربك؟ فيقول: ربي اللّه. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان :ما هذا الرجل الذي أرسل فيكم؟» قال :

---

(١) ابن حبان (٧٨٧) «موارد».

(٢) أي : أصابها وجع في بطنها بسبب أكلها التراب مع البَقْل . انظر: القاموس ، مادة « مغل».

(٣) البخاري في التفسير (٤٦٩٩)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٧١/ ٧٣، ٧٤)، وأبو داود في السنة (٤٧٥٠)، والنسائي في الجنائز (٢٠٥٧)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٦٩)، وأحمد ٤/ ٢٨٢.

(٤) أبو داود في السنة (٤٧٥٣)، وأحمد ٤/ ٢٨٨.

«فيقول :هو رسول اللّه. فيقولان: وما يدريك؟ فيقول : قرأت كتاب اللّه وآمنت به ، وصدقت به، فذلك قول اللّه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]» . قال: «فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فافرشوا له في الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة» . قال: «فيأتيه من روحها وطيبها». قال: «ويفسح له مد بصره». قال: «وإن الكافر» فذكر موته. وقال: «وتعاد روحه إلى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول هاه،هاه، لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه . هاه . لا أدري ، فينادي مناد من السماء : أن كذب عبدي، فافرشوا له من النار، وألبسوه من
٤/٢٨٩ النار، / وافتحوا له باباً إلى النار». قال:«ويأتيه من حَرّها وسُمومها». قال:«ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه». قال: « ثم يقيض له أعمى أبكم معه مِرْزَبَة من حديد ، لو ضرب بها جبل لصار تراباً ». قال: « فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير تراباً ، ثم تعاد فيه الروح»(١).

فقد صرح الحديث بإعادة الروح إلى الجسد، وباختلاف أضلاعه، وهذا بين في أن العذاب على الروح والبدن مجتمعين.

وقد روى مثل حديث البراء في قبض الروح والمسألة، والنعيم والعذاب، رواه أبوهريرة ، وحديثه في المسند وغيره ، ورواه أبو حاتم ابن حِبَّان في صحيحه عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إن الميت إذا وضع في قبره يسمع خفق نعالهم، إذا ولوا عنه مدبرين، فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الصدقة عن شماله، وكان فعل الخير من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه، فيأتيه الملكان من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه، ويقول الصيام: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة، والمعروف والإحسان : ما قبلي مدخل !! فيقول له : اجلس فيجلس قد مَثُلَتْ له الشمس، وقد أصغت للغروب. فيقول : دعوني حتى أصلي : فيقولون: إنك ستصلي،
٤/٢٩٠ أخبرنا عما نسألك عنه،أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقولون فيه ؟ وماذا / تشهد به عليه؟ فيقول: محمد ، نشهد أنه رسول اللّه ،جاء بالحق من عند اللّه فيقال له : على ذلك حييت، وعلى ذلك تُبْعَث إن شاء اللّه، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقال: هذا مقعدك، وما أعد اللّه لك فيها، فيزداد غِبْطَةً وسروراً، ثم يفسح له في قبره سبعون

(١) سبق تخريجه ص ١٧٧ .

ذراعاً، ويُنَوَّر له فيه ، ويعاد الجسد لما بدئ منه، وتجعل روحه نَسَم طير يعلق في شجر الجنة ». قال : « فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

وذكر في الكافر ضد ذلك أنه قال : «يضيق عليه قبره إلى أن تختلف فيه أضلاعه» فتلك المعيشة الضنك، التي قال اللّه تعالى: ﴿لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]. هذا الحديث أخصر(١).

وحديث البراء ـ المتقدم ـ أطول ما في السنن، فإنهم اختصروه لذكر ما فيه من عذاب القبر، وهو في المسند وغيره بطوله. وهو حديث حسن ثابت يقول النبي ﷺ فيه: « إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحَنُوط من حنوط الجنة، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول : أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة ورضوان» .قال : «فتخرج تسيل كما تسيل القَطْرَة من فِيِّ السِّقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين / حتى يأخذوها. ٤/٢٩١
فيجعلوها(٢) في ذلك الكفن وذلك الحنوط، فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض». قال:« فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ ! فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا، فينتهون به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح له». قال : «فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة. فيقول: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى». قال: «فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه». وذكر المسألة كما تقدم، قال:« ويأتيه رجل حسن الوجه، طيب الريح، فيقول له : أبشر بالذي يسرك، فهذا يومك الذي قد كنت توعد ، فيقول له : من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير؟ ! فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول : رب ، أقم الساعة، رب ، أقم الساعة، رب، أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي». قال: « وإن العبد الكافر إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول : أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط اللّه وغضبه، فتفرق في أعضائه كلها،

---

(١) ابن حبان في صحيحه ٥/ ٤٥ (٣١٠٣).

(٢) في المطبوعة :« يأخذونها فيجعلونها » والصواب ما أثبتناه.

فينتزعها كما ينتزع السَّفُّود [1] من الصوف المبلول، فتتقطع معها العروق والعصب». قال: « فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها[2] في تلك المسوح». قال: « فيخرج منها كأنتن ما يكون من جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، / فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة؟ ٤/٢٩٢ فيقولون : فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا؛ حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا، فيستفتحون لها فلا يفتح لها»، ثم قرأ رسول اللّه ﷺ : ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠]، ثم يقول اللّه تعالى : «اكتبوا كتابه في سجين ـ في الأرض السفلى» قال: «فتطرح روحه طرحاً». ثم قرأ رسول اللّه ﷺ : ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. قال : «فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري». وساق الحديث كما تقدم إلى أن قال: «ويأتيه رجل قبيح الوجه مُنْتن الريح، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك؛ هذا عملك الذي قد كنت توعد ؛ فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذي لا يأتي بالخير؟ قال: أنا عملك السوء. فيقول : رب، لا تقم الساعة»، ثلاث مرات [3].

ففي هذا الحديث أنواع من العلم :

منها : أن الروح تبقى بعد مفارقة البدن، خلافاً لضلال المتكلمين، وأنها تصعد وتنزل خلافاً لضلال الفلاسفة، وأنها تعاد إلى البدن، وأن الميت يسأل، فينعم أو يعذب، كما سأل عنه أهل السؤال، وفيه أن عمله الصالح أو السيئ يأتيه في صورة حسنة أو قبيحة.

٤/٢٩٣ وفي الصحيحين عن قتادة عن أنس بن مالك ـ رضي اللّه عنه ـ أن النبي / ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع خَفْق نعالهم، أتاه ملكان فيقرارانه. فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه محمد عبد اللّه ورسوله». قال: «فيقول :انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك اللّه به مقعداً من الجنة». قال رسول اللّه ﷺ : « فيراهما كليهما». قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون . ثم نرجع إلى حديث أنس: «ويأتيان الكافر والمنافق فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري، كنت

---

(١) السَّفُّود ـ بالفتح والضم مع التشديد : حديدة ذات شعب معقفة، يشوي بها اللحم. انظر: القاموس المحيط، مادة «سفد».

(٢) في المطبوعة : « فيجعلونها» والصواب ما أثبتناه.

(٣) سبق تخريجه ص ١٧٧ .

أقول كما يقول الناس. فيقول: لا دريت ولا تليت . ثم يضرب بمطارق من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين»(١).

وروى الترمذي وأبو حاتم في صحيحه ـ وأكثر اللفظ له ـ عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال: قال رسول اللّه ﷺ : «إذا قبر أحدكم الإنسان، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لهما: منكر والآخر نكير. فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فهو قائل ما كان يقول، فإن كان مؤمناً قال: هو عبد اللّه ورسوله، أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقولان: إنا كنا لنعلم أنك تقول ذلك .

ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً، وينور له فيه، ويقال له: نم . فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم. فيقولان له : نم، كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه اللّه من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال: / لا أدري ، كنت أسمع الناس ٤/٢٩٤
يقولون شيئاً فقلته. فيقولان: إنا كنا نعلم أنك تقول ذلك. ثم يقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه ، حتى تختلف فيها أضلاعه، فلا يزال معذباً حتى يبعثه اللّه من مضجعه ذلك»(٢) وهذا الحديث فيه اختلاف أضلاعه وغير ذلك، مما يبين أن البدن نفسه يعذب.

وعن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «إذا احتضر الميت أتته الملائكة بحريرة بيضاء. فيقولون: اخرجي كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً، حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذا الريح متى جاءتكم من الأرض؟ فيأتون به أرواح المؤمنين، فَلَهُمْ أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، يسألونه: ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه، فإنه في غم الدنيا، فإذا قال :إنه أتاكم. قالوا :ذهب إلى أمه الهاوية. وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح. فيقولون: اخرجي مسخوطاً عليك إلى عذاب اللّه، فتخرج كأنتن جيفة، حتى يأتوا به أرواح الكفار». رواه النسائي والبزار(٣) ورواه مسلم مختصراً عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه. وعند الكافر ونتن رائحة روحه، فرد رسول اللّه ﷺ رِيطَة كانت عليه على أنفه هكذا. والرِّيطةُ: ثوب رقيق لين مثل الملاءة.

وأخرجه أبو حاتم في صحيحه وقال: « إن المؤمن إذا حضره الموت حضرت ملائكة الرحمة، فإذا قبضت نفسه جُعِلت في حريرة بيضاء، فتنطلق بها إلى باب السماء ،

(١) البخاري في الجنائز (١٣٣٨) ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٧٠/ ٧٠).
(٢) الترمذي في الجنائز (١٠٧١) ،وقال : « حسن غريب » ، وابن حبان في صحيحه ٥/ ٤٨ (٣١٠٧).
(٣) النسائي في الجنائز (١٨٣٣)، وابن حبان في صحيحه ٥/ ٨ (٣٠٠٣).

٤/٢٩٥ فيقولون: ما وجدنا ريحاً أطيب من هذه الرائحة، فيقال: دعوه / يسترح[١]، فإنه كان في غم الدنيا، فيقال: ما فعل فلان، ما فعلت فلانة؟ وأما الكافر إذا قبضت روحه ذهب بها إلى الأرض تقول خزنة الأرض: ما وجدنا ريحاً أنتن من هذه، فيبلغ بها في الأرض السفلى» [٢].

ففي هذه الأحاديث ونحوها اجتماع الروح والبدن في نعيم القبر وعذابه، وأما انفراد الروح وحدها فقد تقدم بعض ذلك.

وعن كعب بن مالك ـ رضي اللّه عنه ـ أن النبي ﷺ قال: « إنما نَسَمَة المؤمن طائر يَعْلُقُ في شجر الجنة حتى يرجعه إلى جسده يوم يبعثه». رواه النسائي، ورواه مالك والشافعي كلاهما[٣]. وقوله: «يَعْلُق» بالضم أي: يأكل، وقد نقل هذا في غير هذا الحديث.

فقد أخبرت هذه النصوص أن الروح تنعم مع البدن الذي في القبر ـ إذا شاء اللّه ـ وإنما تنعم في الجنة وحدها، وكلاهما حق.

وقد روى ابن أبي الدنيا في «كتاب ذكر الموت» عن مالك بن أنس قال: بلغني أن الروح مرسلة، تذهب حيث شاءت. وهذا يوافق ما روي: «أن الروح قد تكون على أفْنِيَة[٤] القبور» كما قال مجاهد: إن الأرواح تدوم على القبور سبعة أيام، يوم يدفن الميت، لا تفارق ذلك، وقد تعاد الروح إلى البدن في غير وقت المسألة، كما في الحديث الذي صححه ابن عبد البر عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من رجل يمر بقبر الرجل الذي كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه، إلا رد اللّه عليه روحه حتى يرد عليه السلام».

٤/٢٩٦ / وفي سنن أبي داود وغيره، عن أوس بن أوس الثقفي، عن النبي ﷺ أنه قال: « إن خير أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة عليَّ ». قالوا: يا رسول اللّه، كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْتَ؟! فقال: «إن اللّه حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[٥].

---

(١) في المطبوعة: « يستريح» وهو خطأ.

(٢) ابن حبان في صحيحه ٥/ ٧ (٣٠٠٢).

(٣) النسائي في الجنائز (٢٠٧٣) ، وابن ماجه في الزهد (٤٢٧١)، ومالك في الموطأ في الجنائز ١/ ٤٠ (٤٩).

وقوله: « نسمة المؤمن» : أي روحه . انظر : القاموس، مادة «نسم» .

(٤) أفْنِيَة: جمع فناء ، وهو المتسع أمام الدار . انظر: القاموس ، مادة «فنى».

(٥) أبو داود في الصلاة (١٠٤٧) ، والنسائي في الجمعة (١٣٧٤)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٨٥) ، وأحمد ٤/ ٨.

وقوله : « أرمت» : أي بليت. انظر : القاموس المحيط ،مادة «أرم».

وهذا الباب فيه من الأحاديث والآثار ما يضيق هذا الوقت عن استقصائه، مما يبين أن الأبدان التي في القبور تنعم وتعذب ـ إذا شاء اللّه ذلك ـ كما يشاء، وأن الأرواح باقية بعد مفارقة البدن، ومنعمة ومعذبة.

ولهذا أمر النبي ﷺ بالسلام على الموتى، كما ثبت في الصحيح والسنن أنه كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا إن شاء اللّه بكم لاحقون، يرحم اللّه المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل اللّه لنا ولكم العافية. اللّهم لا تَحْرِمْنَا أجرهم ولا تَفْتِنا بعدهم، واغفر لنا ولهم»(١).

وقد انكشف لكثير من الناس ذلك حتى سمعوا صوت المعذبين في قبورهم، ورأوهم بعيونهم يعذبون في قبورهم في آثار كثيرة معروفة، ولكن لا يجب ذلك أن يكون دائماً على البدن في كل وقت، بل يجوز أن يكون في حال دون حال.

/ وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ـ رضي اللّه عنه ـ أن النبي ﷺ ترك قتلى بدر ٤/٢٩٧
ثلاثاً، ثم أتاهم فقام عليهم فقال: «يا أبا جهل بن هشام، يا أميَّة بن خَلَف، يا عُتْبَة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا ». فسمع عمر ـ رضي الله عنه ـ قول النبي ﷺ . فقال: يا رسول اللّه، كيف يسمعون وقد جيِّفوا؟ فقال: « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا ». ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قَلِيب بدر(٢).

وقد أخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر ـ رضي اللّه عنهما ـ أن النبي ﷺ وقف على قَليب بدر فقال: «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟»، وقال: « إنهم ليسمعون الآن ما أقول»، فذكر ذلك لعائشة، فقالت: وَهِم ابن عمر، إنما قال رسول اللّه ﷺ : «إنهم ليعلمون الآن أن الذي قلتُ لهم هو الحق»، ثم قرأت قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ [النمل: ٨٠] حتى قرأت الآية (٣).

وأهل العلم بالحديث والسنة اتفقوا على صحة ما رواه أنس وابن عمر، وإن كانا لم يشهدا بدراً ، فإن أنساً روى ذلك عن أبي طلحة، وأبو طلحة شهد بدراً. كما روى أبوحاتم ـ في صحيحه ـ عن أنس عن أبي طلحة ـ رضي اللّه عنه ـ أن النبي ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فقذفوا في طَوِيٍّ (٤) من أطواء بدر، وكان إذا ظهر على قوم أحب أن يقيم في عَرْصَتِهم (٥) ثلاث ليال.

---

(١) مسلم في الجنائز (٩٧٤ / ١٠٣) . (٢) البخاري في المغازي (٣٩٧٦) .

(٣) البخاري في المغازي (٣٩٨٠، ٣٩٨١)، والنسائي في الجنائز (٢٠٧٦)، وأحمد ٦/٢٧٦.

(٤) أي : بئر مطوية. انظر: النهاية ٣/١٤٦.

(٥) العَرْصَة : كل بُقعة بين الدور واسعة ، ليس فيها بناء. انظر: مختار الصحاح، مادة «عرص».

٤/٢٩٨ / فلما كان اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها فحركها، ثم مشى وتبعه أصحابه. وقالوا : ما نراه ينطلق إلا لبعض حاجته؛ حتى قام على شفاء الرَّكِي [١]؛ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، يافلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم اللّه ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً . فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ قال عمر بن الخطاب : يا رسول اللّه، ما تكلم من أجساد ولا أرواح فيها؟ فقال النبي ﷺ :«والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

قال قتادة: أحياهم اللّه حتى سمعهم، توبيخاً وتصغيراً، ونقمة وحسرة وتنديماً[٢]. وعائشة تأولت فيما ذكرته كما تأولت أمثال ذلك.

والنص الصحيح عن النبي ﷺ مقدم على تأويل من تأول من أصحابه وغيره، وليس في القرآن ما ينفي ذلك فإن قوله: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ [النمل: ٨٠] إنما أراد به السماع المعتاد، الذي ينفع صاحبه، فإن هذا مَثَل ضُرِب للكفار، والكفار تسمع الصوت، لكن لا تسمع سماع قبول بفقه واتباع ،كما قال تعالى :﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً**﴾ [البقرة: ١٧١].

فهكذا الموتى الذين ضرب لهم المثل، لا يجب أن ينفى عنهم جميعُ السماع المعتاد أنواعَ السماع، كما لم ينف ذلك عن الكفار، بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماع آخر فلا ينفى عنهم.

٤/٢٩٩ / وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن الميت يسمع خَفْق نعالهم، إذا ولوا مدبرين[٣]، فهذا موافق لهذا، فكيف يدفع ذلك؟ ومن العلماء من قال: إن الميت في قبره لا يسمع ما دام ميتاً، كما قالت عائشة، واستدلت به من القرآن. وأما إذا أحياه اللّه فإنه يسمع كما قال قتادة: أحياهم اللّه له. وإن كانت تلك الحياة لا يسمعون بها، كما نحن لا نرى الملائكة والجن، ولا نعلم ما يحس به الميت في منامه، وكما لا يعلم الإنسان ما في قلب الآخر، وإن كان قد يعلم ذلك من أطلعه اللّه عليه.

وهذه جملة يحصل بها مقصود السائل، وإن كان لها من الشرح والتفصيل ما ليس هذا موضعه، فإن ما ذكرناه من الأدلة البينة على ما سأل عنه ما لا يكاد مجموعاً، واللّه أعلم.

وصلى اللّه على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) أي: البئر. انظر: القاموس ، مادة «ركو».

(٢) البخارى فى المغازى (٣٩٧٦) و ابن حبان في صحيحه ٧/ ١٣٦ (٤٧٥٨).

(٣) سبق تخريجه ص ١٧٧ .

/ قَالَ شَيْخُ الإسلاَم ـ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ : ٤/٣٠٠

سأل سائل : بماذا يخاطب الناس يوم البعث؟ وهل يخاطبهم اللّه ـ تعالى ـ بلسان العرب؟ وهل صح أن لسان أهل النار الفارسية، وأن لسان أهل الجنة العربية؟

فأجبته بعد «الحمد للّه رب العالمين »:

لا يعلم بأي لغة يتكلم الناس يومئذ، ولا بأي لغة يسمعون خطاب الرب جل وعلا؛ لأن اللّه ـ تعالى ـ لم يخبرنا بشيء من ذلك، ولا رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يصح أن الفارسية لغة الجهَنَّميِّين ولا أن العربية لغة أهل النعيم الأبدي، ولا نعلم نزاعاً في ذلك بين الصحابة ـ رضي اللّه عنهم ـ بل كلهم يكفون عن ذلك؛ لأن الكلام في مثل هذا من فضول القول ، ولا قال اللّه تعالى لأصحاب الثرى ، ولكن حدث في ذلك خلاف بين المتأخرين.

فقال ناس : يتخاطبون بالعربية.

وقال آخرون : إلا أهل النار، فإنهم يجيبون بالفارسية، وهي لغتهم في النار.

/ **وقال آخرون:** يتخاطبون بالسريانية؛ لأنها لغة آدم، وعنها تفرعت اللغات. ٤/٣٠١

وقال آخرون: إلا أهل الجنة، فإنهم يتكلمون بالعربية.

وكل هذه الأقوال لا حجة لأربابها، لا من طريق عقل ولا نقل، بل هي دعاوى عارية عن الأدلة، واللّه ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم وأحكم.

obeikandi.com

٤/٣٠٢ / سُئِلَ عن الميزان: هل هو عبارة عن العدل، أم له كفتان؟

فأجـــابَ :

الميزان: هو ما يوزن به الأعمال ، وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى : ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف:٨] ، ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٩، المؤمنون:١٠٣]، وقوله : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان اللّه وبحمده، سبحان اللّه العظيم»(١). وقال عن ساقي عبد اللّه بن مسعود: « لَهُمَا في الميزان أثقل من أحُدٍ!»(٢). وفي الترمذي وغيره حديث البطاقة ، وصححه الترمذي ، والحاكم، وغيرهما: في الرجل الذي يؤتى به فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مَدُّ البصر، فيوضع في كفَّة، ويؤتى له ببطاقة فيها شهادة أن لا إله إلاَ اللّه. قال النبي ﷺ : «فَطَاشَت السجلات ، وَثَقُلَت البطاقة»(٣).

وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس، فهو ما به تبين العدل. والمقصود بالوزن : العدل، كموازين الدنيا.

وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب.

---

(١) البخاري في الدعوات (٦٤٠٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٤/ ٣١)، والترمذي في الدعوات (٣٤٦٧) وقال: «حسن غريب صحيح» ، وابن ماجه في الأدب (٣٨٠٦)، وأحمد ٢/ ٢٣٢، كلهم عن أبي هريرة.

(٢) أحمد ١/ ٤٢١ ، والحاكم في المستدرك ٣/ ٣١٧ وقال:« حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي ، وأبو يعلي في مسنده ٩/ ٢٠٩(٥٣١٠)، والطبراني في الكبير (٨٤٥٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٩٢ وقال:« رواه أحمد وأبو يعلي والبزار والطبراني من طرق».

(٣) الترمذي في الإيمان (٢٦٣٩) وقال:« حديث حسن غريب»، وابن ماجه في الزهد (٤٣٠٠)، وأحمد ٢/ ٢١٣، والحاكم في المستدرك ١/ ٦ وقال:« حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين»، ووافقه الذهبي.

/ قال الشيخ: ٤/٣٠٣

وأطفال الكفار أصح الأقوال فيهم: « اللّه أعلم بما كانوا عاملين» (١)كما أجاب بذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح .

وطائفة من أهل الحديث وغيرهم قالوا: إنهم كلهم في النار، وذكر أنه من نصوص أحمد وهو غلط على أحمد.

وطائفة جزموا بأنهم كلهم في الجنة، واختار ذلك أبو الفرج ابن الجوزي وغيره، واحتجوا بحديث فيه رؤيا النبي ﷺ لما رأى إبراهيم الخليل وعنده أطفال المؤمنين، قيل : يا رسول اللّه، وأطفال المشركين؟ قال: « وأطفال المشركين».

والصواب أن يقال :« اللّه أعلم بما كانوا عاملين»، ولا نحكم لمُعَيَّن منهم بِجَنَّة ولا نار، وقد جاء في عدة أحاديث:« أنهم يوم القيامة في عَرَصات القيامة يؤمرون وينهون، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار». وهذا هو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن (أهل السنة والجماعة) . والتكليف إنما ينقطع بدخول دار الجزاء، وهي الجنة والنار.

/ وأما عرصات القيامة، فيمتحنون فيها كما يمتحنون في البرزخ، فيقال لأحدهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وقال تعالى : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾ الآية[القلم: ٤٢]. ٤/٣٠٤

وقد ثبت في الصحاح ـ من غير وجه ـ حديث تَجَلّى اللّه لعباده في الموقف، إذا قيل: «لِيَتْبَعْ كلُّ قوم ما كانوا يعبدون، فيتبع المشركون آلهتهم، ويبقى المؤمنون، فيتجلى لهم الرب في غير الصورة التي يعرفون فينكرونه، ثم يتجلى لهم في الصورة التي يعرفونها، فيسجد له المؤمنون، وتبقى ظهور المنافقين كقرون البقر، يريدون السجود فلا يستطيعون»(٢). وذكر قوله :﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾ الآية. والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع، واللّه أعلم.

---

(١) سبق تخريجه ص ١٥١ .

(٢) مسلم فى الإيمان (١٨٢ / ٢٩٩) ، والترمذي في صفة الجنة (٢٥٥٧) .

٤/٣٠٥ / سُئِلَ عَنْ الكُفّار:

هل يحاسبون يوم القيامة أم لا ؟

فَأَجَـابَ :

هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم، فممن قال: إنهم لا يحاسبون: أبو بكر عبد العزيز، وأبو الحسن التميمي، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم. وممن قال: إنهم يحاسبون: أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو طالب المكي.

وفصل الخطاب: أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات.

فإن أريد بالحساب المعنى الأول، فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار.

وإن أريد المعنى الثاني، فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة، فهذا خطأ ظاهر.

٤/٣٠٦ وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من / عقاب من قَلَّتْ سيئاته، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذاباً من أبي لَهَب.

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ**﴾ [النحل: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ**﴾ [التوبة: ٣٧]، والنار دَرَكَات، فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذاباً من بعض ـ لكثرة سيئاته وقلة حسناته ـ كان الحساب لبيان مراتب العذاب ، لا لأجل دخولهم الجنة.

٤/٣٠٧ / وَسُئِلَ شَيْخُ الإسْلام أبو العبَّاس تَقي الدين ابن تَيمية ـ قَدَّسَ اللَّه روحه ـ عن العبد المؤمن: هل يَكْفُر بالمعصيَة أم لا ؟

فأَجَابَ :

لا يكفر بمجرد الذنب ، فإنه ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف أن الزاني غير المحْصَن يُجْلَد ولا يقتل ، والشارب يجلد، والقاذف يجلد، والسارق يقطع.

ولو كانوا كفاراً لكانوا مرتدين، ووجب قتلهم، وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف.

٤/٣٠٨ / سُئِلَ عن رجل مسلم، يعمل عملاً يستوجب أن يبني له قصر في الجنة ،ويغرس له غراسَ باسمه. ثم يعمل ذنوباً يستوجب بها النار، فإذا دخل النار: كيف يكون اسمه أنه في الجنة وهو في النار؟!

فأَجَابَ :

إن تاب عن ذنوبه توبة نصوحاً ، فإن اللّه يغفر له ، ولا يحرمه ما كان وعده، بل يعطيه ذلك.

وإن لم يتب ،وزنت حسناته وسيئاته ، فإن رجحت حسناته على سيئاته كان من أهل الثواب، وإن رجحت سيئاته على حسناته كان من أهل العذاب.

وما أعد له من الثواب يحبط ـ حينئذ ـ بالسيئات، التي زادت على حسناته، كما أنه إذا عمل سيئات استحق بها النار، ثم عمل بعدها حسنات تذهب السيئات ،واللّه أعلم.

٤/٣٠٩ / **وَسُئِلَ عن الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ، وهل يدخلون الجنة أم لا؟**

فأجاب :

إن أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر ثابتة متواترة عن النبي ﷺ ، وقد اتفق عليها السلف من الصحابة، وتابعيهم بإحسان ، وأئمة المسلمين، وإنما نازع في ذلك أهل البدع من الخوارج ، والمعتزلة ، ونحوهم.

ولا يبقى في النار أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان، بل كلهم يخرجون من النار ويدخلون الجنة، ويبقى في الجنة فضل. فينشئ اللّه لها خلقاً آخر يدخلهم الجنة، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ (١).

٤/٣١٠ / **وسُئِلَ عن أطفال المؤمنين هل يدومون على حالتهم التي ماتوا عليها، أم يكبرون ويتزوجون؟ وكذلك البنات هل يتزوجن؟**

الجـواب :

الحمد للّه، إذا دخلوا الجنة دخلوها كما يدخلها الكبار ، على صورة أبيهم آدم، طوله ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع ، ويتزوجون كما يتزوج الكبار.

ومن مات من النساء ولم يتزوجن، فإنها تزوج في الآخرة.

وكذلك من مات من الرجال فإنه يتزوج في الآخرة، واللّه ـ تعالى ـ أعلم.

---

(١) البخاري في التوحيد (٧٤٣٩)، ومسلم في الإيمان (١٨٣/ ٣٠٢).

/ وَسُئِلَ الشَّيخُ ـ رَحمَهُ اللَّه : ٤/٣١١

هل يتناسل أهل الجنة؟ والولدان، هل هم ولدان أهل الجنة؟ وما حكم الأولاد وأرواح أهل الجنة والنار إذا خرجت من الجسد ، هل تكون في الجنة تنعم، أم تكون في مكان مخصوص إلى حيث يبعث اللّه الجسد؟ وما حكم ولد الزنا إذا مات، يكون من أهل الأعراف، أو في الجنة؟ وما الصحيح في أولاد المشركين، هل هم من أهل النار أو من أهل الجنة؟ وهل تسمى الأيام في الآخرة كما تسمى في الدنيا مثل السبت والأحد؟

فَأَجَـاب :

الولدان الذين يطوفون على أهل الجنة خَلْقٌ من خَلْق الجنة ، ليسوا بأبناء أهل الدنيا، بل أبناء أهل الدنيا إذا دخلوا الجنة يكمل خلقهم كأهل الجنة على صورة آدم، أبناء ثلاث وثلاثين سنة، في طول ستين ذراعاً، وقد روى ـ أيضا ـ أن العرض سبعة أذرع.

وأرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار، تنعم أرواح المؤمنين، وتعذب أرواح الكافرين، إلى أن تعاد إلى الأبدان.

/وولد الزنا إن آمن وعمل صالحاً دخل الجنة، وإلا جوزي بعمله كما يجازى غيره، والجزاء على الأعمال، لا على النسب، وإنما يذم ولد الزنا ؛ لأنه مَظِنَّة أن يعمل عملاً خبيثًا، كما يقع كثيراً . كما تحمد الأنساب الفاضلة ؛ لأنها مظنة عمل الخير، فأما إذا ظهر العمل فالجزاء عليه، وأكرم الخلق عند اللّه أتقاهم. ٤/٣١٢

وأما أولاد المشركين، فأصح الأجوبة فيهم جواب رسول اللّه ﷺ، كما في الصحيحين: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة» الحديث(١) قيل :يا رسول اللّه، أرأيت من يموت من أطفال المشركين وهو صغير؟ قال: «اللّه أعلم بما كانوا عاملين» (٢) .فلا يحكم على معين منهم لا بجنة ولا بنار. ويروى: «أنهم يوم القيامة يمتحنون في عرصات القيامة، فمن أطاع اللّه حينئذ دخل الجنة ومن عصى دخل النار» .

ودلت الأحاديث الصحيحة أن بعضهم في الجنة، وبعضهم في النار. والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ، ولا ليل ولا نهار، لكن تعرف البُكْرَة والعشيَّة بنور يظهر من قبل العرش، واللّه أعلم.

---

(١) البخارى في القدر (٦٥٩٩) .

(٢) سبق تخريجه ص ١٥١ .

٤/٣١٣ / **وَسُئِلَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن رجل قيل له: إنه ورد عن النبي ﷺ : «أن أهل الجنة يأكلون ويشربون، ويتمتعون، ولا يبولون ولا يَتغَوَّطون»(١). فقال: من أكل وشرب بال وتَغَوَّطَ . ثم قيل له : إن في الجنة طيوراً ، إذا اشتهى صار قدامه على أي صورة أراد من الأطعمة وغيرها ، فقال: هذا فُشَار(٢). هل بجحده هذا يكفر ويجب قتله أم لا؟**

فَأَجَـابَ :

الأكل والشرب في الجنة ثابت بكتاب اللّه، وسنة رسوله، وإجماع المسلمين. وهو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وكذلك الطيور والقصور في الجنة بلا ريب، كما وصف ذلك في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ ، وكذلك أن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبَصُقون، لم يخالف من المؤمنين باللّه ورسوله أحد، وإنما المخالف في ذلك أحد رجلين: إما كافر، وإما منافق.

٤/٣١٤ أما الكافر، فإن اليهود والنصارى ينكرون الأكل والشرب والنكاح في/ الجنة، يزعمون أن أهل الجنة إنما يتمتعون بالأصوات المطربة والأرواح الطيبة مع نعيم الأرواح، وهم يقرون مع ذلك بحشر الأجساد مع الأرواح ونعيمها وعذابها.

وأما طوائف من الكفار، وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم، فيقرون بحشر الأرواح فقط، وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط.

وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ، ينكرون المعاد بالكلية ، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح، ولا الأجساد. وقد بين اللّه ـ تعالى ـ في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح، والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك؛ بياناً في غاية التمام والكمال .

وأما المنافقون من هذه الأمة، الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون :هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني،وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام، وطائفة ممن ضاهوهم، من كاتب ، أو متطبب، أو متكلم،

---

(١) البخاري في الأنبياء (٣٣٢٧)، ومسلم في الجنة (٢٨٣٤/ ١٥، ١٦)، وابن ماجه في الزهد (٤٣٣٣)، وأحمد ٢/ ٢٣٢، ٢٥٣.

(٢) الفُشَار: الذي تستعمله العامة ، ليس من كلام العرب. انظر: القاموس، مادة « فشر» .

أو متصوف ـ كأصحاب « رسائل إخوان الصفا» وغيرهم ـ أو منافق . وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان؛ فإن محمداً ﷺ قد بين ذلك بياناً شَافيًا قاطعاً للعذر، / وتواتر ذلك عند أمته، خاصها وعامها. وقد ناظره بعض اليهود في جنس هذه المسألة ٤/٣١٥ وقال: يا محمد ، أنت تقول: إن أهل الجنة يأكلون ويشربون، ومن يأكل ويشرب لابد له من خلاء. فقال النبي ﷺ :«رَشْحٌ كرشح المِسْك»(١).

ويجب على ولي الأمر قتل من أنكر ذلك، ولو أظهر التصديق بألفاظه، فكيف بمن ينكر الجميع؟ واللّه أعلم.

/ سُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ٤/٣١٦

هل أهل الجنة يأكلون ويشربون وينكحون بتلذذ كالدنيا؟

وهل تبعث هذه الأجسام بعينها؟

وهل عيسى حي أم ميت ؟

وهل إذا نزل يحكم بشريعة محمد ﷺ أم بشريعته الأولى، أم تحدث له شريعة؟

فأَجَابَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أما أهل الجنة فيأكلون ، ويشربون، وينكحون، متنعمين بذلك بإجماع المسلمين، كما نطق به الكتاب والسنة ، وإنما ينكر ذلك من ينكره من اليهود والنصارى.

وهذه الأجساد هي التي تبعث كما نطق به الكتاب والسنة.

وعيسى حيٌّ في السماء لم يمت بَعدُ، وإذا نزل من السماء لم يحكم إلا بالكتاب والسنة، لا بشيء يخالف ذلك، واللّه أعلم.

---

(١) البخاري في بدء الخلق(٣٢٤٦)، ومسلم في الجنة (٢٨٣٥/١٨، ١٩) ، والترمذي في صفة الجنة (٢٥٣٧) وأحمد ٢/ ٢٣٢، ٢٥٣.